

الدكتور حسن عباس نصر الله

الإسلام والتكفير

التكفيريون: وداعاً يا إسلام



الإسلام والتكفير

التكفيريون : وداعاً يا إسلام

طبع في لبنان

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م



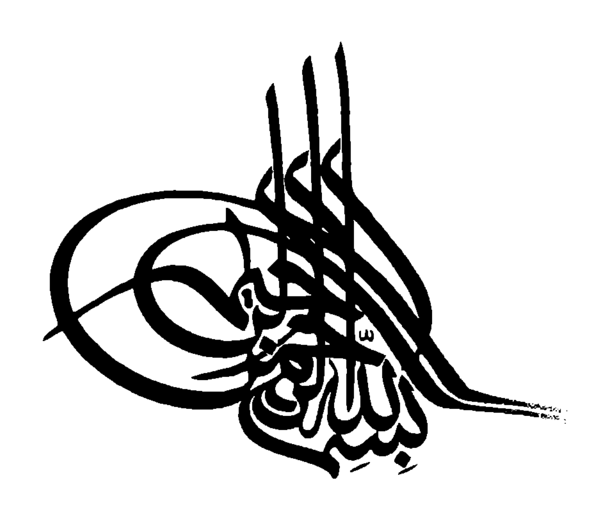


الإسلام والتكفير

التكفيريون: وداعاً يا إسلام

الدكتور حسن عباس نصر الله

دار القارئ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة

دماء تجري، رؤوس تتدحرج،

أرواح تتصاعد إلى السماء،

هنا لا يوجد مسلمون أتقياء،

هنا أرض اغتصبها التكفيريون،

مثلما اغتصبوا الشعارات،

الله أكبر؛ إذبَحْ مسلماً،

لا إله إلا الله؛ أقتُلْ مسلمة،

محمد رسول الله؛ مزِّقْ جسدَ طفل،

رموز الإسلام، ما عادت للمسلمين هم هجروها،

أضاعوها، تنزَّل الغضبُ عليهم.

تلقَّفْتها فئات: مرتدّة، ناكثة، قاسطة، خارجة، مكفِّرة، عاهرة.. أتجرتْ بها، رفعتها زوراً شعارات لها، تحت ظلالها، دماء المسلمين سفكوا، رفعوا النداء: الله أكبر، سمع الناسُ الضائعون، ظنوا النداء بريئاً، تَقِيّاً، لبّوا، لبّوا... لأن رجال الدين، من وعّاظ السّلاطين،

باعوا الإسلام لحكامهم الطغاة الظالمين وأرخصوه، دولة الإسلام هي الهدف، خليفة المسلمين إسمٌ اختفى، أكلَهُ قرنٌ من الزمن. . .

عُدْ خليفة المسلمين، في مركب جديد، مصنوعٍ من رؤوس البشر، يُبْحِرُ فوقَ أنهُرٍ من دماء. . .

يحرسه جنود الارهاب. . . أبحر يا زورق الخليفة على رمال الصحراء. . . ينتظرك هناك نفط ودولارات. . .

يا خليفةً، وُلِدَ من برك الدّم، أُقْتل، أقْتل المؤمنين والابرياء باسم الله. . . صاح أمير التكفير بجنْدِه،

يا أبناء قايين، اقتلوا اخوتكم الأبعدين،

اقتلوا، ليل نهار، لا تسأموا، لا تملّوا.

علكم تقتلون نصف العالم. .

لأن أباكم، يوم قتل أخاه الأقرب،

قتل نصف العالم. .

هناك مقدّسات مغتصبة؛ لماذا تجاوَزْتَها، يا خليفةَ التكفيريين؟ تركت القدس، والمسجد الأقصى، وفلسطين. . .

وبادرت تحرر بجحافلك المُضلَّلة، أرضَ الإسلام من المسلمين. .

من أمرك أن تغُضّ الطَّرْفَ عن المغتصبات،

من أرسلك تقتُل الصامدين، في أرض الأجداد،

من حوّلك مشبوهاً، ممسوخاً، تُمثِّل في جسد الإسلام. .

تأخذه محبَّة وتعطيه حقداً. .

تأخذه سلاماً وتمارسه حرباً وذبْحاً للآمنين. .

إن كل ما تمارسه من إرهاب يسوّد صفحة الإسلام الناصعة، لدى الآخر، لأنه ما أخذها من منابعها. . أنت نقلتها للآخر مشوّهة، قاتمة، سوداء، أنت نمَّيتَ الكره للإسلام.

أيها التكفيري، نعتك الناس ومعهم وسائل الإعلام بأوصاف الشر والجهل والارهاب... ما تركوا صفة لئيمة، وبشعة، ودنيئة... إلا وصموك بها، خلصت النعوت، وما انتهت إبداعاتك الشريرة...

وداعاً، إسلامَ محمد،

أهلاً، إسلامَ إبليس،

أنت أنزلت آدم من الجنة،

أنت عصيت الاله، وكفرت،

واتَّبعك التكفيريون،

أنزِلْ ذريَّةَ آدم، العاصين لك، عن وجه الارض، ادفنهم في التراب،

أوليسَ هم من التراب خلقوا،

احرقهم قبل الدفن بالنار، فجّر أحقادك موتاً،

ألست أنت إبليس خلقت من نار؟ أذقهم طعم النار،

مُرْ التكفيريين أتباعك، أن ينتقموا من المؤمنين، بالسيف بالدمار. . .

الدماءُ تفورُ، وتنبتُ زنابق على أضرحةِ الشهداء. .

وتظلُّ يا إبليسُ، مع أتباعك التكفيريين مذؤومين مدحورين. .

كثر القول عن التكفير والتكفيريين، ومجازرهم الارهابية. . سئلت عن هذه الظاهرة، عُدْت إلى تاريخ الإسلام، وفقهه. . قرأت، أتت المعلومات مؤذية، اعتمدت القرآن الكريم، لانتزاع المشاهد الايمانيّة، والصورة التكفيريَّة، وعرَّجت على مسيرة الرسول ﷺ فكانت مشرقة إنسانياً، إنه كأبيه ابراهيم «أواه مُنْيب». .

كتبت هذه الصفحات، حرصت فيها على معلومات تنير جوانب الاشكالية. أنا أدافع عن الإسلام من جرائرِ المسلمين الغلط.

الفصل الأول: ماهيَّة التكفير، تعريفات:

إن الله سبحانه هو أول من قسَّم الناس بين مؤمن وكافر، دعاهم إلى الايمان ووعدهم الجنَّة ثواباً، ونهاهم عن الكفر، وحذّرهم النار عقاباً. . . هو وحده من يوزّع الناس بين الجنّة والنّار. . لذلك ما فوَّض الانبياء والمؤمنين بقتل الكافرين، إنما فوضهم بدعوتهم إلى الهدى، وعبادة الاله الواحد، لأن قضية الايمان والكفر لا ترتبط بالحياة الدنيا، إنما بالاخرة. لذلك ما فرض الله سبحانه على المؤمنين قتال الكافرين إلا في حال تعرّض الكافرون للمؤمنين وإيمانهم، وإلا فحسابُهم على ربِّهم.

لو شاء الله للكافرين أن يكونوا مؤمنين لألزمهم بالإيمان، لكنه لم يلزمهم وأعطاهم حريّة الاختيار، بعدما بين لهم الهدى والثواب، والضلال والعقاب. . .

لماذا أنت أيها المسلم المتعصّب تريد أن تلزم الناس بالدين وإلاّ تقتلهم. ربهم خلقهم ولم يفوّض أحداً بقتلهم، إنهم عباده دعهم أيها التكفيري لا شأن لك بهم.

إذا كانت الأعمال القمعيّة هي من أجل الدين، فالدين منها براء، أما إذا كانت سياسية من أجل الحكم والتسلّط، فالسياسة ملعونةٌ، تبيح المحظورات، وتنتهك المقدّسات والحرمات. .

ماهيّة التكفير: كَفَر: جَحَد، الكُفر: السَّتر والتغطية على القلب.

الكفر: نقيض الايمان. كفّره: نسبه إلى الكفر والجحود. .

الكفر بالله: صاحبه لا يعترف بالتوحيد. . وينكر الرُّسل والكتب السماوية، واليوم الآخر. .

ورد الجذر (كفر) **٥٣٩** مرّة في القرآن الكريم، وحدَّدَ في آياته الغزيرة: كنه الكفر وأسبابه، ومظاهره، وأعماله، ونتائجه، وعقابه. .

أما النّبي محمد ﷺ فاستغفر للكافرين، ليكون الاستغفار طريقاً للهداية، ودَّ لو يدخل الايمان قلوب الناس كل الناس أراد أن ينقذ المشركين من أنفسهم الضائعة؛ فأصرَّ في الحوار والدعوة بالكلمة السواء. . مُلْغياً السيف من حواراته إلاّ في الدفاع عن النفس. هل تعرف أيها التكفيري أنّ النبي محمد ﷺ ما قتل بيده إنساناً واحداً قط.

الفصل الثاني: التكفير في التاريخ الإسلامي:

التكفير: إتِّهام بالكفر بعد الإسلام.

عنوان يضجُّ بالتناقضات، تشرق شمس، فيعمُّ النور، وتصطرع الحياة في عروق المجتمعات.. تغرب شمس، فيسطو الظلام على ما أنجزه نور النهار. هكذا الحياة حقبٌ مشرقة، تأكلها حقبٌ مظلمة... معركة بدر أكلتها أحد، اندفاعات المؤمنين في الفتوحات، صدمتها الردَّة، وجهاد علي عليه السلام، وقد كتب النصر لمعارك بدر، والخندق، وخيبر، وحنين.. آلمته حروب جماعات نكثت، قسطت، خرجت. آلمه أن يقتل صحابيٌّ صحابياً.. هذا خارجي إسودَّت جبهته من كثرة الصلاة، حكم بالكفر على عليٍّ وأصحابه وأباح قتالهم، وقطع طرقات المسلمين، وقتل أطفالهم، وبقر بطون نسائهم؛ لأنهم لم يبايعوا أمراء الخوارج.. أفسدوا في الآرض؛ فوجب قتالهم..

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي عدَّها المؤرخون والمفكرون، على امتداد العصور والجغرافية، ثورة الحق والحريّة والعزّة..

رآها وعَّاظ السلاطين، وفئات مضلّلة خروجاً على الحاكم.. قتلوا الإمام الحسين، سبط الرسول وريحانته، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنَّة» «حسين مني، وأنا من حسين».

مع ذلك رموه بالكفر، لأنه خرج للإصلاح في أمّة جدّه، وقتلوه،

وقطعوا رأسه، ورفعوه على الرمح.. منذ يومها فقدت قيمة الانسان على الأرض، واستبيحت المحرمات.. وألغيت أحكام الله، الذي جعل الإنسان الفرد يساوي الناس جميعاً «من قتل نفساً بغير نفس، أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً»، بعد مأساة الإمام الحسين؛ لن يأخذنا الدهش، ولن تسكننا الغرابة لما يفعله الارهابيون والتكفيريون، من قطع الرؤوس، وذبح الاطفال...

إن كلَّ مَنْ يُقتل مظلوماً، ويُقطع رأسه، ويُمثّل بجسده، على امتداد العالم، قد قُتِلَ يوم كربلاء..

الفصل الثالث: أخلاق الحرب وضوابِطُها:

أباح الإسلام الحروب دفاعاً عن النّفس، ووضع لها الضوابط، هي أخلاق ترسم موقع الانسان المطلق.. ولا علاقة للتشريع الإلهي بأخطاء المحاربين وغيرهم، ممَّن يرتكبون الجرائم باسم الدّين. أخلاق الحرب لا يصبر عليها إلا الشجعان والاتقياء.. لذلك أسقطها المسلمون في حروبهم وعملوا ضد تعاليم القرآن والنّبي..

نهى الإسلام عن البدء بالقتال «إن قاتلوكم؛ فقاتلوهم» وضمن حياة الأبرياء، الذين لا يشاركون في الحرب، وحرّم قتل النساء والاطفال والشيوخ، وشدّد على رعاية مظاهر العمران والحضارة، ناهياً عن قطع الاشجار، وقتل الحيوان، وتدمير المنازل والقرى، والامكنة الدينيَّة.. لقد نهى النّبي عن الغدر والتمثيل في جثث القتلى، وفرض الرحمة في القتل...

راعى الإمام علي عليه السلام أخلاق الحرب، ما كان يتبع فارّاً، ولا مُعْوِراً، ولا يزأف جريحاً ولا يقتُل أسيراً، ونهى عن شتم الأعداء. «لما سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام، أيام حرب صفّين، قال: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولو قلتم مكان سبِّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم»[١].

الفصل الرابع: الثورات والفتن في الإسلام:

الثورات هي انتفاضات مسلَّحة، ومشروعة عادة؛ لأنها تهدف إلى إصلاحات تحرريّة في الدين والمجتمع..

أما الفتن، فقال عنها القرآن الكريم «والفتنة أكبر من القتل» إن الثورات هدفت إلى إنقاذ المجتمعات من حاكم ظالم، وأنظمة فاسدة، طبقية، ذات تمييز ديني أو عرقي..

هذه الثورات مشروعة شرط أن تحافظ على الاخلاق الإسلاميّة، ثورات كتبت لها أهدافها وأخلاقها الخلود، إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي رائدة، وهو سيّد الشهداء، وحركته، أم الحركات لا يلغيها الظالمون، والمضطهدون، هي في حركة أبديَّة، مع حركة الكون، إشراقاتها، تنقل صورة الحسين مع أنصاره إلى قلب الشمس، فترحل صورته محمولة إلى الارض التي ترحل فوقها الشمس وتنيرها.. وبذلك صارت ذكرى الحسين عالميّة، تقام في القارات

(١) نهج البلاغة خطبة (٢٠٦)

كلّها.. وصارت الفينيق الإسلامي المسافر إلى العالم.. وعرَّجْتُ على ثورة زيد الشهيد عارضاً أسبابها وأهدافها ونتائجها.. وذكرت باختصار الثورتين: الاميركية والفرنسية.. لما لهذه الثورات من نتائج غيّرت وجهة التاريخ..

أما الفتن فاسمها يوزّع الرعب بين الناس، وهي تعمل على زعزعة المجتمعات وتخريبها.. قال عنها القرآن الكريم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[1]، وحذر النبي ﷺ المسلمين من الوقوع في الفتن، فهي مشبّهات الأمور.. قال: «تقع فتنٌ، القاتل والمقتول في النار. قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: كان حريصاً على قتل أخيه».

عانى المسلمون من كثرة الفتن، وقد لا يخلو منها عام، مما نشر ثقافات هدّامة، شرذمت العالم العربي بشكل خاص.. وتركت المسلمين يتنابذون بالتكفير، ويريقون دماء بعضهم بعضاً.. مما جعلهم مغلوبين من أسوأ الشعوب، فحكمهم: فُرس، وأتراك، وأكراد، ومماليك، ويهود..

وباتوا يعانون اليوم من تسلط غربي استعماري.. يمارس عليهم الاذلال المنظم..

الفصل الخامس: فتنة القرامطة

اقتصَرْتُ في دراسة الفتن القديمة على فتنة القرامطة لما لها من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

ميزات، لقد استمرت إحدى وستين سنة (٢٧٨ - ٣٣٩هـ) بدأت بسواد الكوفة في العراق، إجتماعية واقتصادية.. لبَّى الناس من الفقراء دعوة قُرمط حمدان بن الأشعث. المشتهر بالزهد.. كانوا يتصلون بالاسماعيلية، وأحدثوا بدَعاً في الإسلام؛ فالصلاة خمسون فريضة، في أول الدعوة، ثم خفّف عنهم قرمط الصلاة إلى أربع ركعات.

ويظهر خطر القرمطية بتكفير المسلمين الذين لا يؤيدونهم، فهم «يرون السيف في أمَّة محمد، إلا من بايعهم» وحوّلوا القبلة إلى بيت المقدس، والتف حول قرمط «مئة ألف ضارب بالسيف».

احتلوا مكة عام ٣١٧هـ، وانتزعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى هجر. عاثوا فساداً في بلاد الحجاز، والخليج، والعراق، والشام.. قتلوا الرجال والنّساء، وصبيان الكتاتيب.. وهدموا المدن والقرى والمساجد (مسجد الرصافة)، كانوا في كرٍّ وفرٍّ مع السلطات الحاكمة، أخربوا البلاد، وقتلوا المسلمين.. أعادوا الحجر الأسود عام ٣٣٩هـ وقالوا: «أخذناه بأمر، وأعَدْناه بأمر».

بين فتنة القرامطة، وفتن الجماعات السلفيّة المعاصرة، الثورات الدينيَّة المتطرّفة تتلاقى في عقائدها، وأهدافها وتصرفاتها ونتائجها.. الاتجار بالدين من أجل السياسة والاستيلاء على الحكم.. وجمع الأموال، والسيطرة والغلبة على المجتمعات.. القرمطي هو نفسه الداعشي أو التكفيري، أو التتاري والمغولي..

وبلغت نقاط التشابه بين القرمطية والداعشية أربع عشرة خلَّة موبقة.

الفصل السادس: الإسلام والارهاب، والعمليات الجهاديَّة

الارهاب مفردة وردت في القرآن الكريم بمعنى «الإخافة».

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١). وظّف الأعداء الآية في اتهام الإسلام بالارهاب هي «آية الإخافة» فسَّروها باعداد الارهاب تزويراً لمعاني القرآن الكريم..

غزا الاستعمار الغربي بلاد المسلمين، وعاث فساداً في حضارتنا، وتراثنا، ولما واجهته الجماعات الجهاديَّة، أعلن حرباً ضدها، وضد الدول التي تساندها.. تحت شعار التصدِّي للإرهاب.. اجتاز آلاف الفراسخ واحتل بلادنا، وإن قاومناه كنّا إرهاباً..

إن مفهوم «ترهبون» أي تخوِّفون الأعداء ردعاً لهم بلا قتال، لأن الدولة القويَّة يَرْهبُ جانبها الأعداء، أي تحمي نفسها بقوّتها، والآية تشرّع قانوناً ردعياً للإرهاب والاعتداء بلا قتال، أي «هزِّ العصا» وليس منازلته.. ثم تأتي دعائم الاعداد، إن استمرَّ العدو في صلفه، هناك المقاومة، وتسلك طرقاً متعدِّدة: المواجهات العسكريَّة، والعمليات الجهاديّة، والعمليات الاستشهاديَّة.. هذه العمليات التي

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

أدّت في لبنان إلى هزيمة المارينز الأميركي، والمظليين الفرنسيين وإلى تحرير الجنوب اللبناني.

لكن التكفيريين إقتبسوا العمليات الاستشهادية، وسوّدوا وجهها المشرق، حوّلوها من الشرعيَّة الجهاديّة إلى عمليات انتحاريّة تقتل المسلمين، وأبناء الوطن الواحد، الآمنين بدل أن تتجه إلى المستعمر والمحتل.. فهي انتحاريّة بامتياز يحترق منفّذها بنار الدنيا قبل نار الآخرة.. وكان أمراؤه قد وعدوه زوراً بالجنّة والحور العين..

لقد صنَّفت أعمالهم في الارهاب، لأنهم قتلوا الفرح في الدول الإسلاميَّة، فهم يفجِّرون أنفسهم في الأعراس والافراح والندوات الثقافيّة، والشوارع والمحال التجاريّة وأحياناً يحوّلون الحزن الفردي الجنائزي إلى أحزان إباديَّة..

فجّروا المساجد والحسينيات والكنائس.. وسائر دور العبادة.. بدأت العمليات الاستشهاديَّة في لبنان ضد الاحتلال الصهيوني وأعوانه مما أسهم في تحرير جنوب لبنان..

تلقّفها التكفيريون، ونقلوها إلى قتل المسلمين من مختلف المذاهب في العراق، وسورية، ولبنان، ومصر، وليبيا، واليمن.. ما استطاع الجبناء، الكافرون أن يأخذوها إلى فلسطين المحتلة للإسهام في تحريرها من الصَّهاينة، بل أخذوها إلى أهلهم بهدف تحرير الأرض العربية من العرب للاستيلاء عليها. وإضعافها، خدمة لاسرائيل وأميركا.

الفصل السابع: الاجتهادات والفتاوى

تعرَّضَتْ آيةُ السيف من سورة التوبة إلى اجتهادات متعدِّدة، وأنتجت أحكاماً بين عفو وقتل وحروب. . .

أما التفقّه في الدين فهو أمر إلهي، والنَّفر إلى التفقه شكَّل مع الزمن مدارس فقهيّة في البلاد الإسلاميَّة. .

إختلفت آراء الفقهاء، وتباينت الأحكام، وشرَّعها حديث: «الاجتهاد، والأجر بين الصواب والخطأ»، لكن الخلاف يصبح مأساويّاً عندما يرتبط بالعقيدة، والتكفير، وتشريع القتل والتدمير. .

احتاج السلاطين إلى فتاوى للانتقام من المعارضين؛ لأن المعارضة ممنوعة فيها خروج على طاعة وليّ الأمر: هم تسلّحوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]. الحكام الطغاة هم أولو الأمر، ومخالفتهم تعني مخالفة الله ورسوله، والمخالف عقابه القتل. . لذلك قتلوا بوحي الآية جحافل من المسلمين المعارضين، وخاصة المتصوّفة والفقهاء. .

وعرضْت نصّاً من الفتاوى الحامدية، الكتاب الذي جمعه مؤلفه من فتاوى أئمة المذاهب، وفقهائهم، على مرِّ العصور. الفتاوى التي تبيح قتل المسلمين المعارضين، وخاصة الشيعة. . وشكّل كتاب الفتاوى الحامديَّة دستوراً لقضاة الدولة العثمانية، يصدرون الاحكام بناء لنصوصه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

الفصل الثامن: ظاهرة التكفير

بدأت مع اختلاف العقائد الدينية بين سماوية ووضعيَّة، بما فيها الوثنية التي قال أتباعها: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1].

كفر ابراهيم عليه السلام بآلهة قومه، ولما حطّم أصنامهم، قالوا له: أكفرت بآلهتنا؟ وسعوا إلى قتله إحراقاً بالنار..

ولما كفر موسى عليه السلام بفرعون، ورفض عبادته، أمر بقتله وقتل السَّحرة الذين آمنوا مع موسى عليه السلام.

ظهرت جماعات تكفيريّة في المجتمعات العربية تجيز قتل الإنسان المسلم، هم أفراد تحوَّلوا إلى مجموعات قتاليَّة بعدما استولى بعض رجال الدين المنحرفين على تفكيرهم، في عملية (غسل دماغ)، أي تحويل انحرافي عن الحق. هذه التلبية للثقافة الغلط، والمواعظ المزيَّفة نتجت عن خلل في تصرفات الفرد، وتحولت إلى خصائص إجراميَّة:

١ - قلوبهم غُلف، قال اليهود «قلوبنا غُلف» أي لا تفهم، لا تعي، لا تميّز بين الصح والغلط... قلوب متحجّرة.

٢ - يسكنهم الجهل: عاشوا التخلُّف، بعيداً عن الحضارة الإنسانية، فأباحوا قتل الإنسان الآخر الذي يخالفهم الرأي أو العقيدة أوالتصرّف أو العادات..

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

٣ - همج رُعاع: قال عنهم الإمام علي عليه السلام: يميلون مع كل ريح، ويتبعون كلَّ ناعق..

٤ - ثقافتهم الحقد: تركوا فكرة المحبَّة وشحنوا أنفسهم بالشّحناء والكره والبغض، وهذه الثقافة لا تنتج إلا القتل والتخريب والتدمير..

٥ - التنازع الطائفي: هذه الجماعات تنحى منحى طائفياً أو مذهبياً أو عرقياً... في استراتيجية خاطئة، لأن هذه المبادىء لا تبني الدّول بل تؤذيها بالشرذمة والاقتتال..

٦ - تخريبيون إرهابيون: فقدوا الحسَّ الإنساني، لا يمتلكون حُجَة أو فقهاً صائباً، يعتمدون ضعاف الرأي، لا يواجهون بالكلمة السواء، فيعمدون لضعف حجَّتهم إلى المواجهة بالسيف.. فيقتلون الابرياء بل المذنبين، ويقتلون الضعفاء، لا الأقوياء.

٧ - الاخفاق في الحكم: هذه الجماعات لا تصلح للحكم، ولا تنجح في إقامة آية دولة؛ لأن التشدُّد والقتل أساليب قمعيّة تهدم الدول والانظمة.

ما نص القرآن الكريم على قتل الناس الابرياء، بل دعا إلى التّفاهم، والتآلف، والتوحُّد، ورفض الشتم والسُباب: «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله» ودعا إلى التآخي: إيماناً وعقيدة ومجتمعيّاً...

الفصل التاسع: المظاهر الارهابية للتكفيريين أو ناتج الارهاب التكفيري

إن ناتج الأعمال الارهابيَّة للتكفيريين، أتت مؤذية للمجتمعات العربيَّة وللدين الإسلامي، لأنها ألصقت به تصرفاتها الوحشية، بعدما ادّعت أنها تقيم أحكام الشريعة.

لقد تفنّنوا باختراع البِدَع القتليَّة، ينفذون إجراماتهم على مشهد من الناس منقولة إلى العالم، على شبكات التّواصل، فيتوهم المشاهد المسلم وغيره، أنّ هذا التصرّف البشع، هو جزء من تعاليم الدين؛ فيبادر الناس إلى التبرؤ من الإسلام، صاحب التعاليم الهمجيّة.. واللاإنسانية التي رسمها التكفيريون للإسلام... في مشروعهم التدميري..

لقد روّجوا للذّبح وذبحوا، وقتلوا الاطفال والأسرى ذبحاً وركلاً وسَحْلاً، ورجموا، ونبشوا القبور.. وهدموا المعابد والمقامات الدينية، ودمّروا المدن والقرى والمؤسسات، وخطفوا الأبرياء، ونفذوا عمليات انتحارية قتلوا الفرح في أعراس الناس وأعيادهم..

وأسوأ ما سعوا إليه إشعال الفتن الطائفية والمذهبية والعرقية مخالفين القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[1] ما قال: لتتقاتلوا.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الأمان في السلام

في ثقافة الإسلام، إذا مرَّ إنسان بجماعة، وحيّاهم بتحيّة الإسلام. . . السلام عليكم. . وجب عليهم أن يردّوها، فإذا ردوها عليه تعصمه من القتل والسلب، وتمنحه الأمان، والاطمئنان، يجالسهم، يسامرهم بلا خوف، وبلا أسئلة عن هويته. . . في تعاليم القرآن الكريم: التحيَّة تُرَدُّ بأحسن منها، وأحسن منها إعطاء الأمان، لا غدر، ولا خيانة. . كيف يردّ التكفيريون التحيّة للناس في منازلهم وقراهم ومدنهم؟ يردونها بطلقة رصاص، أو ضربة سيف، أو عمليّة تفجير. . مسقطين تعاليم الإسلام، وأخلاقه، وثقافاته، مبتدعين ثقافات شيطانيّة، إبليسية. . فيصرخ المؤلّفة قلوبهم، وداعاً يا إسلام!! لأن ذلك يعني ولادة إسلام مزيّف.

هل قرأتم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

بوادر القتل: إرهاصات الملائكة

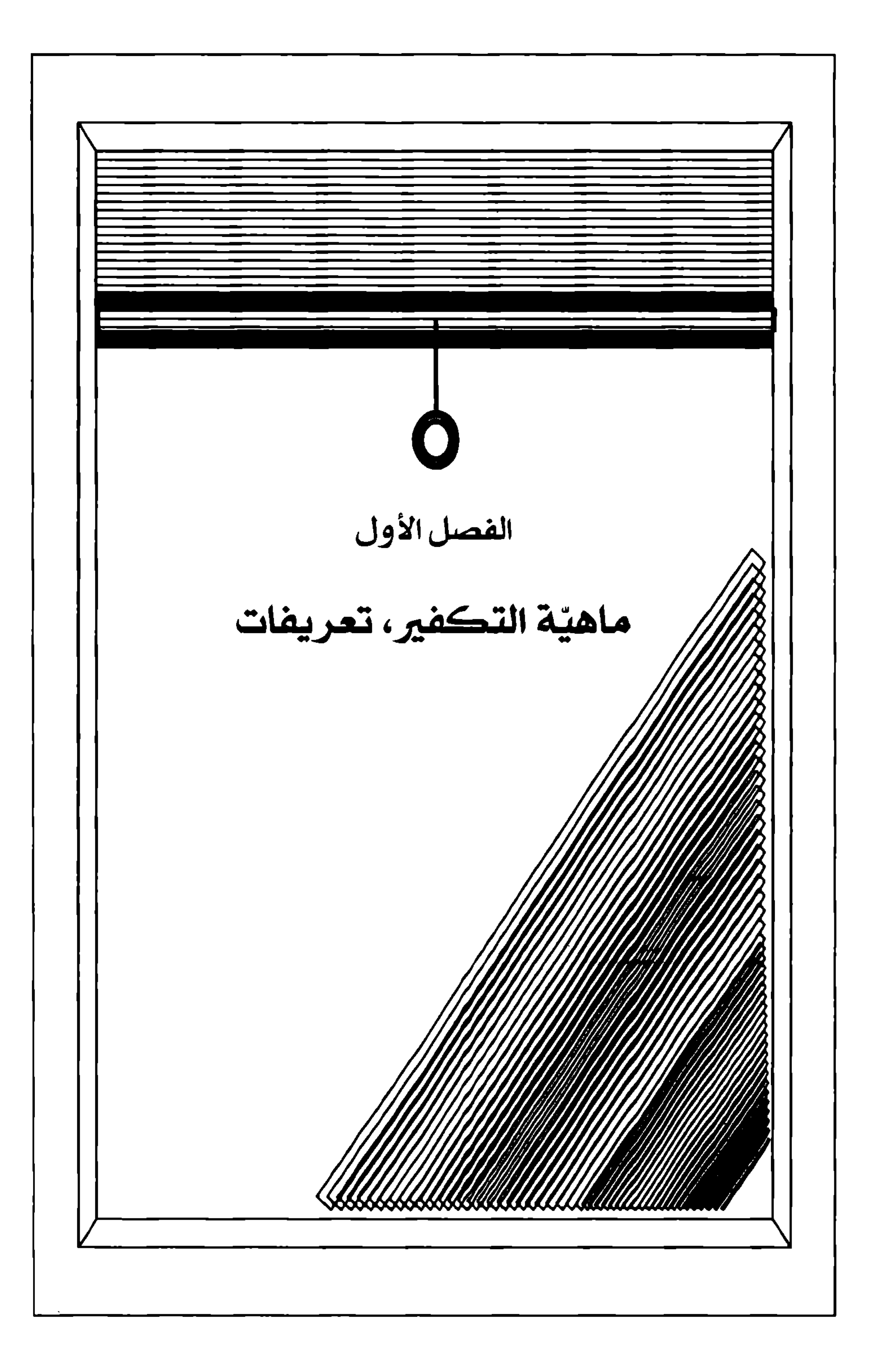
تحفّظت الملائكة لدى سماعها بخلق الإنسان، على القتل، قامت بإحتجاج على سفك الدماء؛ وتحقّقت إرهاصاتها في أول جيل للبشريَّة، عندما وقع أول القتل في الأرض؛ إذ قتل قايين أخاه هابيل حسداً وغيره. وما كانت يومها قد وُلدت الأحزاب والمذاهب. إنما الطمع والحسد، وحمأة الطيّن غريزة في النشأة.. أباحت القتل. قايين أفتى بالقتل، وهابيل أفتى بالسِّلم...

«لئن بسطت إلي يدك لتقتلني؛ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك». لأن القتل فيه إبادة البشريَّة، وهو طلائع إرهاب. كان القربان بين قبول سَمْح، وردٍ شحيح، هو سبب الانتقام. رجل نما فيه وحش القتل، والآخر نما فيه التسامح، وسكنته الإنسانية ردَّ على التهديد بالقتل بالعفو، والمحبة، ورفض مبدأ القتل، ولو دفاعاً عن النفس «لئن بسطت إليّ يدك.. ما أنا بباسط إليك يدي». وترسّخت سُنّة القتل بين أبناء آدم، وتضافرت أسبابه وتنوّعت مع الزمن: الحسد، الطمع، اختلاف العقائد، الصراع على المادَّة، والمرأة والزعامة، واختلاف الأفكار والآراء.. يخترع الإنسان المجرم سبباً بل أسباباً لقتل الإنسان المسالم.

الصراعات الدينية - السياسية

السياسة مأساة الإسلام

إن المناصب السياسية هي التي أخربت الإسلام، بالصراعات الداخليَّة، وتمزيق وحدته. . لأن الصراعات الدينية، إذا ظلّت صافية للدين سرعان ما تنتهي، فالأديان التوحيديَّة الملتزمة لا تتصارع فيم بينها، أما إذا دخلت السياسة فتؤجِّج النزاعات؛ لاستغلال الناس المتدينين، وزجِّهم في منافسات سياسيّة غير شريفة، وصوليّة، لا توفِّر دماء الناس وأشياءهم، ومن أجل الوصول للزعامة تتجرُ بالدين والعقيدة والإنسان رموز كلها تهون أمام المنصب السياسي والحكم. . . إذا كانت السياسة علم الرياسة، ودعائمها الكذب، والدهاء، والمكر غدت بأقانيمها مأساة الإسلام على الدوام، لأنها مُنعت أن تكون معصومة، على مرّ التاريخ الإسلامي اعتدى السياسيون على الشرع الإلهي، عندما تركوا العدل وحكموا بالباطل مجاراة للأهواء، وسخّروا الدين لأجل المواقع السياسيَّة.



الفصل الأول

ماهيّة التكفير، تعريفات

تعريفات التكفير

أ - **لغةً**: كَفَرَ: كَفَرَ بالله: يَكْفرُ كُفْراً وكُفوراً، وكُفْراناً: جَحَدَ، وستَر، وغطَّى على قلبه..

الجمع: كُفَّار، وكَفَرَة، وكِفار.

الكُفْر: نقيض الايمان، والكفر بالنِّعمة: جحودها، وهو ضدُّ الشُّكر.

الكُفر: السَّتر والتَّغطية: سُمِّي الكافرُ كافراً؛ لأن الكُفر غطَّى قلبه كلَّه واستهلكه.

كفَّره: نسبه إلى الكُفر والجحود، جعله يخضع ويُذَلّ..

الكافرة: جمعها: كوافر. «ولا تمسَّكوا بعصمِ الكوافر».

ب - **إصطلاحاً**:

الكُفر: إنكار وجود الخالق، أو اتخاذ المخلوقات من بشر وأشياء وأصنام آلهة للعبادة، ومنه الشِّرك.

التكفير: اتّهام بالكفر بعد الإسلام.

التّكفيري: هو الإنسان - الشر، يرمي المؤمنين وغيرهم بالكفر، ويبادر إلى عقابهم...

أشكال الكفر:

يضيء التعريف اللغوي أشكال الكفر: الانكار، الجحود، العناد، الشَّر والتغطية للقلب.

١ - **كفر إنكار:** صاحبه لا يعرف الله، ولا يعترف بالتوحيد، وهو أن يكفر بقلبه ولسانه.

٢ - **كفر جحود:** أن يعترف بقلبه، ولا يُقِرُّ بلسانه، وهو كافرٌ، جاحدٌ، «كُفرُ إبليس» قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾(١) ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(٢).

كفر المعاندة: يعرف الله بقلبه، ويقِرُّ بلسانه، ولا يدينُ به حسداً وبغياً.

كُفْرُ النّفاق: أن يُقِرْ بلسانه، ويكفر بقلبه.



(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

ماهية الكفر في القرآن الكريم

ورد الجذر (كَفَرَ) في القرآن الكريم (٥٣٩) مرّة... إذْ حدَّد القرآن في آياته الغزيرة: كُنْهَ الكفر، وأسبابه، ومظاهره، وأعماله ونتائجه وعقابه... ودعا الإنسان إلى تركه ولزوم الايمان، إذ الهدف من الخلق الايمان وعبادة الإله الواحد.

بعد أن حدَّد القرآن هويَّة الكافرين وصفاتهم دعاهم إلى الهُدى، والصراط الحميد رأفة بهم، وما دعا مرَّة إلى قتالهم وإبادتهم ابتداء.. لأن الهدف الأول لنزول القرآن أنْ يهدي الناس كلَّهم إلى الاسلا م والتوحيد، والتشريع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

لبناء المجتمعات في الأرض، ووعدهم بالجنَّة، ووعد الكافرين والمشركين بالنار، وما كلَّف المسلمين بقتالهم وإبادتهم، إذ لو شاء أن يسلِّط المؤمنين على الجاحدين باسم الدين لما خلق الكافرين. فالخلق كلُّهم عيال الله، هو يجزيهم جنّة أو ناراً.

ما أوكل محاسبة الناس إلى التكفيريين والارهابيين. بل قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٥.

وما كلَّف المسلمين بمحاسبتهم وقتلهم إنما أمر بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وإذا أبوا فحسابُهم عليه (وعلينا حسابهم).

أذكرُ آياتٍ تحدِّدُ علاقة المسلم - من خلال الأوامر الالهية المشرَّعة في القرآن الكريم، بالكافرين والمشركين..

فهي لا تأمر بقتالهم ابتداء؛ إنما تعدُهم بالخسران والعذاب في جهنم.. فالله يحاسبهم، لا البشر. إذ وحده يقرّر إرسال الناس إلى الجنَّة أو إلى النار..

إن التكفيريين الذين يقتلون الناس باسم الدين هم جماعات خارجة عن الإسلام، وليأتوا بآيات تناقض هذه الآيات التي أُوردُها، أيها التكفيري المجرم متى فوَّضك الله بقتل عباده؟

عوامل الكفر وأسبابه، ومظاهره: أبان القرآن الكريم أشكال الكفر:

١ - الكفر بالله سبحانه وتعالى: تحدث القرآن الكريم عن استمراريّة الكفر لدى الامم من قوم نوح إلى عاد وثمود... ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾(١).

٢ - الكفر بالرسالات السماوية التي تدعو إلى عبادة الاله الواحد. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾(٢).

(١) سورة هود، الآية: ٦٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

٣ - الكفر بالله وبرسوله محمد (إنكار التوحيد والنبوَّة) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١].

٤ - أنكروا القرآن، الذكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[٢].

٥ - الشرك بالله على أنواعه: له شر يك أو ولد أو إمرأة...

- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[٣].

- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[٤].

٦ - الكفر بآيات الله وإنكار نسبة خلقها إليه، من معجزات، وكواكب، وأنهار، وحيوانات...

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[٥].

٧ - إتِّباع الباطل وترك الحق نوع من الكفر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٨٠.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٧ و ٧٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٩.
(٦) سورة محمد، الآية: ٣.

٨ - ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]. أي مخالفة الشريعة السماوية في إصدار الأحكام.

أو يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله، ويسعى في الأرض فساداً، ويقتل نفساً محرَّمة بغير حق.

٩ - الكفر بالله والملائكة والرسل والكتب السماوية واليوم الآخر مجتمعة: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

اتخذ التكفير مسميات متنوِّعة، هدفت كلُّها إلى الجحود بالخالق ورسالاته، ورفضت الانبياء وتعاليمهم، بل حاربتهم بعناد وقتلت أكثر من مئة ألف نبي..



(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

معاقبة الكفار

١ - العقاب الأول الذي ذكر في القرآن الكريم مئات المرات هو عذاب الآخرة: جهنم، والجحيم، والنار وسقر...

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾(٢).

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾(٣).

٢ - اللعنات والغضب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾(٤).

٣ - الحرمان من المغفرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾(٥).

٤ - الحرمان من النور: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(٦).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٣) سورة هود، الآية: ١٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦١.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٨.
(٦) سورة النور، الآية: ٤٠.

قتال الكافرين

ما حرَّض القرآن الكريم على قتال الكافرين في حال مسالمتهم، وترك حسابهم لربِّهم في الآخرة...

لكنه أمر بقتالهم في حال الدفاع عن الاسلا م والاعتداء عليه ونهى المسلمين عن الاعتداء على الكافرين ابتداء، «واخرجوهم من حيث أخرجوكم» «قاتلوهم إذا قاتلوكم» على المسلم أن يقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

أليست الآية واضحة، بيِّنة، مشرقة، محكمة، لا تشابه فيها ولا تأويل... (قاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)...

ويتابع القرآن: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[2].

هذه الآيات لم تدع إلى القتال ابتداءً ونهت عن الاعتداء لأن الله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

لا يحب المعتدين، بل هو يحب المتَّقين المحسنين، اسلوب الشرط «فإن قاتلوكم فاقتلوهم» فعل الشرط.

إن بدأوا القتال، جوابه الدفاع عن النفس بالقتال.. ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

ومهما تقلب الإنسان بين الكفر والايمان حسابه على ربه في الآخرة، ولم يفوّض الخالق أحداً بقتل عباده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾(٢).

جزاؤهم: الحرمان من الغفران، وعدم الهداية ولهم عذاب أليم في جهنم... ومع تقلبهم بين الكفر والايمان ما دعا إلى قتلهم.

هل قرأ فقهاء المسلمين وأتباعهم على مرِّ العصور هذه الآية، وأدركوا حكمها، ما أمر سبحانه بقتلهم وقتالهم، ماذا يريد الفقهاء أكثر من هذه المواقف المتبدِّلة: آمنوا، كفروا، آمنوا، كفروا، ازدادوا كفراً... ما قال تعالى: اقتلوهم، واقطعوا رؤوسهم تحت شعار إسمي «الله أكبر».

من أين أتيتم بهذه البدع الغريبة عن ثقافة القرآن والإسلام، في جميع آيات القرآن الكريم لم يأمر الخالق بقتل الكافرين والمشركين إلا في حال الدفاع عن النفس والإسلام.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٧.

كثيرة الآيات القرآنية التي تدعو إلى التسامح والعفو، وتنهى عن القتل والانتقام، وتمنح الآخر حريّة العبادة ولو لغير العاقل [ما] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[١].

قل: أمر إلهي للنبي ﷺ ليظهر إخلاصه للدين بعبادة الإله الواحد.. (الله) ثم أتى فعل الأمر: «فاعبدوا ما شئتم من دونه» لتأكيد حرية الاختيار الديني، مع توضيح الجزاء وهو الخسران يوم القيامة و (ما) لغير العاقل، أي اعبدوا أصنامكم فلكم الخسران. ما قال للنبي ﷺ: اقتلهم، لأنهم يعبدون غيري، بل حسابهم عليه، فلهم الخسران المبين، أي جهنم، أيها التكفيري كيف تقتل المسلمين وغيرهم، دعهم وربهم، دعهم يذهبون إلى عذاب النار...

آية البرّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

إن الله يحب المقسطين، ما قال تعالى يحب: التكفيريين المجرمين القاتلين..

إن الله لا يريد قتال الكافرين وإبادتهم لأنهم عباده بل أراد لهم الهداية، وأمر النبي ﷺ بجهادهم، لكن ليس جهاداً قتالياً إنما جهاداً كبيراً (قرآنياً) باقناعهم، وحضّهم على الايمان، جهاد العقيدة

(١) سورة الزمر، الآيات: ١٤ و ١٥.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

والكلمة، بتقديم القرآن لهم وتعليمهم آياته وأحكامه.. ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1] «به» بالقرآن الكريم، هذا هو الجهاد المشرق بأنوار الإسلام الذي يحاور الكافرين، يأخذهم من الظلمات إلى النور، المجاهد هنا هو داعية، وليس طاغية، لا يسأم من الحوار والاستغفار، وإيراد الحجج والبراهين، على وجود الخالق وانتصاراً للرسل والدين «إن الدين عند الله الإسلام» إن الدعاة ليسوا بقضاة يحكمون على الناس الذين لا يلبون الدعوة، بالقتل وقطع الاعناق، لا يحق لهم أن يقطعوا سبيل التوبة بالقتل. كثيرون أسلموا بعد عناد أو أسلموا في سن متأخّرة، ولو قتلهم الدعاة لحرموهم من نعمة الإسلام التي أشرقت في نفوسهم متأخرة، لئن تصل متأخراً خير من ألا تصل أبداً.

وأختم بهذه الآيات: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[2].

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4].

وقال النبي ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبُّكم إليه، أنفعكم لعياله».

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٢.
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٥.

حديث نبوي يرسم التعامل الإسلامي السَّمح، ليس بتقديم القتل، بل بترك الأذى ضد الإنسان، ثم بتقديم النَّفع لهم.. من يريد أن يحظى بمحبة الله، فليسلك طريق محبة الناس..

خلاصة: إن الله سبحانه هو أول من قال بالتكفير، وقسَّم الناس بين مؤمن وكافر.. وعد المؤمنين بالجنة وخصَّ الكافرين بالنار..



التكفير في الحديث النّبوي

قال محمد ﷺ: «كُفوا عن أهل لا إله إلا الله، ولا تكفِّروهم بذنب».

ما تقوَّل النبي ﷺ ولو بعض الأقاويل، بل التزم تعاليم الوحي المنزل عليه.. ما دعا إلى قتال الكافرين ابتداء، حمل الرسالة، ودَّ لو يدخل الايمانُ قلوب الناس كل الناس بشَّرهم بالخير بالجنة وأنذرهم من عبادة غير الله، . . .

استغفر للمشركين ليكون الاستغفار طريقاً للهداية، لكثرة ما استغفر لهم، نزل قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[1]. عندما نزلت الآية تذكَّر النبي قصة إبراهيم مع الملائكة المرسلين لتعذيب قوم لوط، قال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[2].

وكان محمد أواهاً منيباً، فقال: «لو علمت أنني إذا زدت على السبعين، يغفر الله لهم، لزدّت».

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة هود، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

قضى أيام الرسالة بالدعوة مبلِّغاً، وبالدعاء راجياً هداية الناس لذلك ما دعا محمد لقتل الكافرين بل تمنى لهم الايمان والفوز بالجنة، وما عُرف عنه ﷺ أنه قتل إنساناً واحداً بيده، هذا هو محمد النبي الذي زرع بذور الايمان، والمحبة والتسامح والاستغفار للمشركين حتى يؤمنوا، لكن تصرفات بعض أتباعه، ممن دخلوا هامش الإسلام، وأجرموا باسم الإسلام، نقلوا صورة مشوشة عن النبي والدين استغلها الآخرون، واتهموا الإسلام بأنه دين السيف والقتل، وصولاً إلى الاجرام والارهاب في عصرنا. . محمد ﷺ ما قتل إنساناً واحداً بيده، ما كان عنده جلادين، هو المتسامح: أما قال يوم فتح مكة لأعدائه الذين قتلوا أصحابه وعذبوه وهجرّوه، قال لهم: عندما انتصر: إذهبوا فأنتم الطلقاء. .

هذه الصورة المشرقة، وكل صور الاسلا م القرآني مشرقة، مشاهد يجب أن تنقلها إلى الآخر، لينعم بأنوار الإسلام، لعن الله من بدّل المشاهد الوضاءة، ونقلها مظلمة غارقة بالدماء والدمار. .

نهى النبي المسلمين عن الصراعات الداخلية، أوردُ جملة أحاديث تُحرِّم هذا القتال:

قال ﷺ: «قتال المسلم كُفر، وسبابُه فِسق، ومن رغب عن أبيه فقد كفر» وفي رواية: «سُبابُ المسلم فسوق وقتاله كفر».

من قال لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما (أي بالكُفر). . معناه إذا لم يكن المخاطب كافراً عاد الكفر على قائله.

وحذّر النبي ﷺ المسلمين من تكفير بعضهم بعضاً:

قال في حجّة الوداع: ألا لا تَرجِعُنَّ بعدي كُفّاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض».

التسامح في إقامة الحدود وهي صفة مغرقة في الإنسانيّة، إن شرعة حقوق الإنسان اليوم، تدعو الدول المشاركة في الشرعة إلى إلغاء عقوبة الاعدام من قوانينها...

سعى النبي ﷺ إلى التخفيف من إقامة الحدود، مُظهراً التوجه الإنساني للإسلام..

قال: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»، وتباعدوا عن قتل أهل الإسلام، وقال: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجاً؛ فخلّوا سبيله، فإن الإمام لئن يخطيء في العفو، خيرٌ من أن يخطيء في العقوبة».

هنا تكمن روعة الإسلام، وتسامحه، وإنسانيته..



دعائم التكفير وأركانه

قال الإمام علي عليه السلام: «الكفر على أربع دعائم: على التعمُّق، والتنازع، والزَّيغ، والشقاق، فمن تعمَّق لم يُنِبْ إلى الحق، ومن كثُر نزاعه بالجهل، دام عماه عن الحق، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة، وحسُنت عنده السِّيئة، وسَكِر سُكر الضلالة، ومن شاقَّ وعُرَت عليه طُرُقه، وأعطل عليه أمرُه، وضاق عليه مخرجُه...»[1].

هذه الكلمات تتعمق في حال الكافر التكفيري وتُعدِّد العوامل التي ترسم حركاته التكفيريَّة والخروج عن طريق الحق..

١ - **التعمُّق هو الدعامة الأولى**، والتعمُّق هنا معناه «الذهاب خلف الاوهام على زعم طلب الاسرار».. الجماعات التكفيرية تنقطع مع الأمير الذي هو الفقيه عادة، وتبدأ عملية (غسل الدماغ) بالتعمُّق في طلب الأسرار الدينيّة، من خلال عرض الأوهام، لا الحقائق.. تتم عملية إقناع بتحويل الباطل إلى حق، فقتل الناس المخالفين لعقيدة الأمير، المستمدَّة من تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسب زعمه، تؤدي إلى الدخول الفوري إلى الجنّة.. مع أن من مات ودُفن يظل في لحده، لا يذهب إلى جنة أو إلى نار، إلى يوم النشور

(١) نهج البلاغة حكمة (٣١).

(المعاد). وتصح نقل الرفات للميت من مكان إلى آخر تكريماً له: العودة إلى مسقط رأسه، أو لدفنها بجوار أضرحة الأنبياء والأئمة والصالحين إقناع بأوهام تأخذ إلى الباطل المغشّى زوراً بثوب الحق، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[(١)]. في عالم البرزخ - عالم ما بعد الموت - لن تذهب الأجساد إلى الجنة أو النار بل تظل في رموسها (أضرحتها)، إنما الأرواح هي التي تنعّم أو تُعذَّب على غرار الأحلام (الرؤيا). يرى النائم في منامه أنه يسافر في جنان وبلاد وتجارات فترتاح نفسه، أو يسافر في أمكنة مليئة بالاعداء أو الوحوش فتعذب نفسه فيستيقظ صارخاً (كابوس)...

الأجساد تظل في الأرض: عظاماً، تراباً، رُفاتاً، إلى يوم النشور، وبعد الحساب يوزّع الناس بأعمالهم إلى الجنة أو النار...

٢ - **التنازع**، أي التخاصم والمماراة، ومن كثر نزاعه بالجهل، دام عماه عن الحق.. بعد خروج التكفيري من حلقات أميره، يسلك طريق (التنازع) مع الآخر أي المماراة والجدال بالجهل، لأن ثقافته، لم تكن ثقافة معرفية إنما جاهلة والجهل هو العمى عن الحق... لذلك تصعب إعادته إلى الصواب والحق.

٣ - **الزَّيْغ**، «الحيد عن مذاهب الحق، والميل مع الهوى الحيواني»[(٢)].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده حكمة (٣١).

التكفيري حاد عن مذاهب الحق إلى مذهب الباطل، معتمداً ميوله وأهواءه الحيوانيَّة، تتحكم به غرائز تخرجه من صفته الإنسانية، وتأخذه إلى شهوانيّة الوحش، فيقتل الأطفال والنساء والابرياء... وفي أوهامه أنه يصنع الحق، إذا انقلبت عنده المفاهيم «ساءت عنده الحسنة، وحُسنت عنده السيئة، بعدما سَكِر بتعاليم الضلالة».

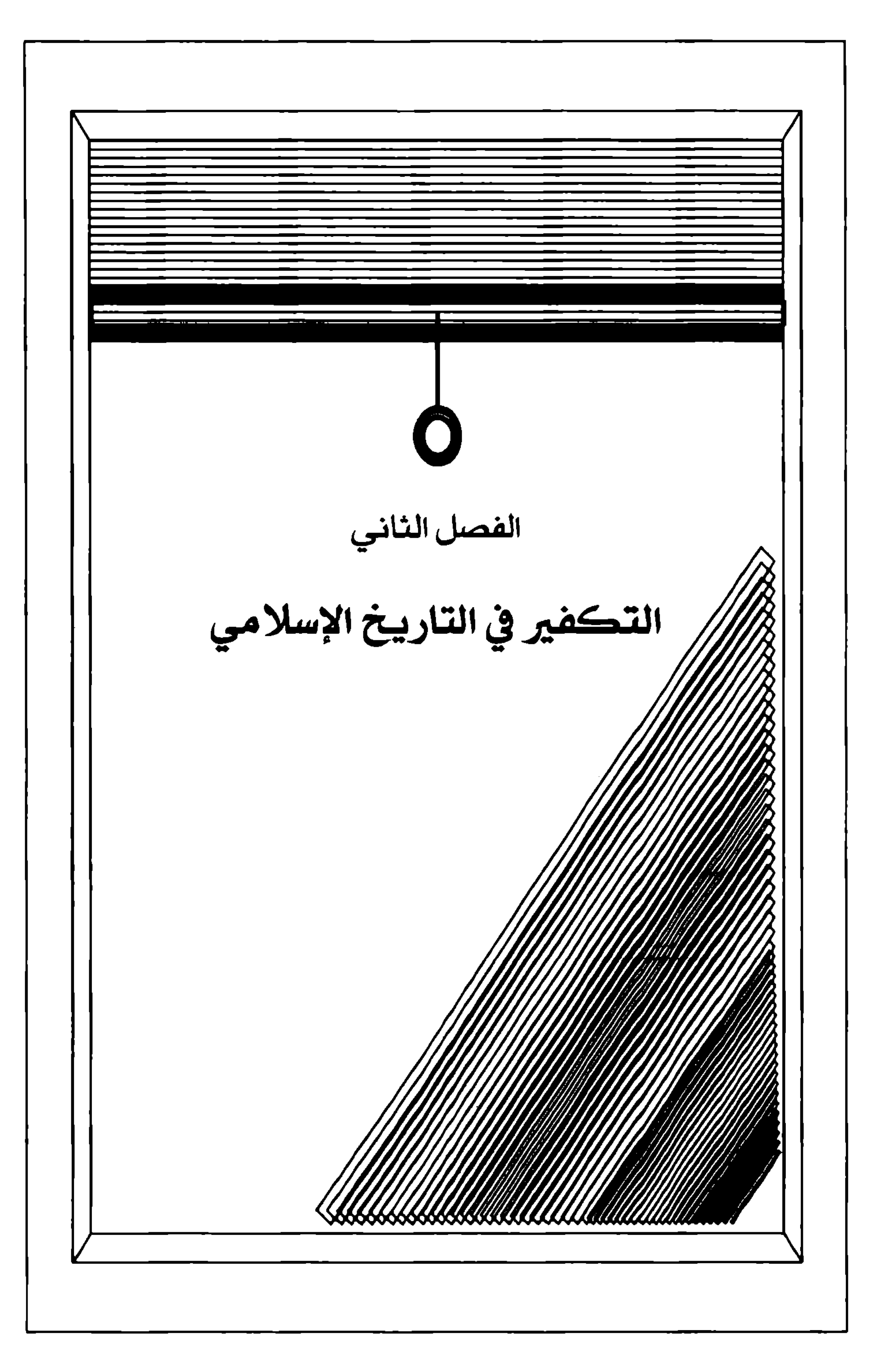
٤ - **الشِّقاق**، العداوة والعِناد... «من شاقَّ وَعُرَت عليه «طرقُه، وأعضل عليه أمرُه، وضاقَ عليه مخرجُه» وَعُرت الطرُّق: خشُنت، ويصعب السَّير فيها، أعضل الأمر اشتدّ، وأعجزت صعوبته..

إن المفردات والعبارات الموجزة التي استخدمها الإمام علي ترسم بأرقى اسلوب أحوال التكفيري، في العقيدة والتصرُّف والعناديَّة والجمود الفكري (التحجُّر) «قلوب غُلف» أهونِ منها الحجارة التي قد تنفجر منها الينابيع. ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[1] أي بلا روح هذا الرجل التكفيري وصل إلى مرحلة من الجمود لا يقبل الآخر؛ ولا يستطيع الحوار ليل نهار أن يبدّل أكثر من ٥٪ من مفاهيمه الارهابية العدوانية..

إن نسبة التبدل لدى التكفيري قد تصل إلى ١٠٪ بناء لاحصاءات عالميّة قامت بها جماعات حواريّة وقد ألبسوا باطلهم بأنه الجهاد وما هو إلا الاجرام.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٠.



الفصل الثاني

التكفير في التاريخ الإسلامي

التكفير في التاريخ الإسلامي

«الردَّة: عودةٌ إلى الكفر، بعد الإسلام)/التكفير: إتهام بالكفر بعد الإسلام».

قال النبي ﷺ للمسلمين في حجة الوداع شهر ذي الحجة سنة ١٠هـ : «أيُّها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام»[١].

قال: أيها الناس، ما قال أيها المؤمنون، الخطاب للمسلمين كافّة، ثم تابع: «إن المسلم أخ المسلم، لا يغشُّه، ولا يخونه، ولا يغتابه، ولا يحلُّ له دمه، ولا شيء من ماله إلا بطيبة نفس. . .

أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله، وضاربُ غير ضاربه. . ألا إني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وإني رسول الله، وإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق، وحسابهم على الله. . . لا تعودوا بعدي كُفاراً يضربُ بعضكم أعناق بعض».

ركز النبي ﷺ على حرمة الدماء والأموال والاعراض. . لا يفكّ عصمتها شيء. . بعد أن تعصمها شهادة التوحيد والنبوة. . إن تكاثر المسلمين، وانتساب القبائل والشعوب والاعراق إليه أحدث

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٠٢.

نزاعات لا تخمد. . إذ بدأت الصراعات بعد وفاة النبي وسوف تستمر إلى يوم القيامة.

صراعات أخذت الإسلام، ووصمته بالارهاب والاجرام، والتخلف. .

في زمن النبي كان الوحي يحسم النزاعات، وقال النبي يوم غدير خم، «حفظاً للأمّة، إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي»[1].

لكنّ المسلمين تأوّلوا القرآن، ثم هجروه، وقتلوا العترة وقالوا: «بالتكفير» الذي اتخذ أسماء متعددة: الردَّة، الخوارج، الزندقة. .

الردّة: عودة إلى الكفر بعد الإسلام، أي انقلاب على الدين.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

هي الردّة بالانقلاب على الاعقاب، لكنّ الآية لم تأمر بقتل المنقلب، أي المرتد، لأنه لن يضُرَّ الله شيئاً، ومن يظل على إسلامه شاكراً فله جزاء الحسنى. .

ما قال القرآن الكريم، كلما تحدَّث عن الكفار: اقتلوهم، اقتلوهم. . . بل ترك أمرهم لله وجزاؤهم جهنم.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢/٢٤٦؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/١١٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾(١).

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٣).

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾(٤).

ولهم عذاب غليظ في جهنّم..

فلا يحزنك يا محمد، لأن النبي كان يتمنّى للناس كل الناس أن يدخلوا الإسلام، ويرتقوا إلى الايمان.. فيحزن لجماعات ما كانت تؤمن، فما قاتلهم ولا دعا إلى قتالهم بل أصرَّ على هدايتهم كان يسعى إلى إنقاذهم من أنفسهم الضالة..

ويبقى حسابهم عند ربهم قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾(٥).

مات محمد فانقلبوا على أعقابهم، تصارعوا على الملك، الخلافة، الامارة..

قال ابن الأثير في الكامل: «لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر، وأبو عبيدة بن الجراح فقال: ما هذا؟ فقالوا:

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٢.
(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منا الأمراء، ومنكم الوزراء... فبايعه عمر، وبايعه الناس، فقالت الانصار.. لا نبايع إلاَّ علياً...»[1].

وذرّ شقاق حول الخلافة، في المدينة، بينما ظهرت الردَّة في الأطراف، وكان المرتدون صنفين: فريق تخلّى عن الإسلام، وفريق ظل على الاسلا م.

الصنف الأول على نوعين:

١ - أتباع من ادّعى النبوّة مثل: الأسود العنسي، إسمه عيهلة بن كعب العنسي، واستتبّ له ملك اليمن امتداداً إلى حضرموت والبحرين والاحساء وعدن، ثم ادعاها طليحة الأسدي، ثم مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث.. لقد أنكر فريق من المسلمين نبوة محمد واتبعوا المتنبئين، وتسلّطوا على بلاد اليمن وجزء من الخليج العربي..

٢ - العودة إلى الجاهليّة، هناك فريق من العرب لما سمعوا بموت محمد ﷺ انقلبوا، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهليّة من عبادة الأصنام والكواكب[2] منكرين رسالة الإسلام..

أباح المسلمون قتال هاتين الفئتين؛ لطراوة عود الإسلام.

---

(١) الكامل: ٢/ ٣٢٥.

(٢) الكامل: ٢/ ٣٣٧، ٣٥٤.

الصنف الثاني:

فريق ظل على الإسلام، لم يرتدّوا عن الايمان، بل ظلّوا يصلون، ويصومون، لكنهم منعوا الصدقات أي الزكاة وقالوا: إن الخطاب في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾(١) خاص بزمن النبي، وخذ، يا محمد. من هؤلاء مالك من نويرة وقبيلته(٢).

وبعضهم جمّد الزكاة ليتثبت من صاحبها وقالوا: هي لعلي بن أبي طالب بحكم بيعة غدير خم..

وقع خلاف بين المسلمين في حرب هذه الفئة، أمر أبو بكر، صاحب السلطة (الخليفة) بقتالهم وأرسل الجيوش لمحاربتهم، ووقعت أخطاء في هذه الحروب، قصة «مالك بن نويرة».

في حين اعترض عمر بن الخطاب على قتالهم «لإقرارهم بالتوحيد والصلاة وما داموا يؤذنون في مساجدهم ويقيمون الصلاة».. ورد أبو بكر بقوله: «من أنكر فريضة أحدِ أركانِ الإسلام كان كافراً» أطلق حُكم التكفير..

اعتمد أبو بكر آية السيف في حروب الردَّة ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) الكامل: ٢/٣٥٨.

رَّحِيمٌ﴾[١]. قال: لا أفرِّق بين ما جمع الله: التوبة، والصلاة، والزكاة»[٢].

ولما نهاه عمر عن قتال المسلمين، ما داموا على إسلامهم قال: لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه، لأن منع الزكاة الإمام كفر.

هكذا بدأ قتال المسلمين وقتلهم بإجتهادات خاصّة لكن حروب الردّة هدفت إلى الدفاع عن الإسلام في وجه الكفر..



(١) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٢) الرازي، التفسير الكبير: ١٥/ ٢٢٦.

عائشة تكفِّر الخلفاء الراشدين

كفّرت عائشة اثنين من الخلفاء الراشدين ودعت إلى قتلهما، وشاركت في قتال أحدهما، بل قادت المعركة بنفسها، بعد أن أمرت بصنع هودج من حديد مقفل إلا في موضع العينين (معركة الجمل)..

لا أريد أن أخوض في هذا الأمر تحليلاً وتأويلاً إنما أذكر النصَّ الذي أورده ابن قتيبة (م ٢٧٦هـ) وأورده ابن الأثير في الكامل:

«خرجت عائشة إلى مكة وعثمان محصورٌ، ثم خرجت من مكَّة تريد المدينة، فلما كانت «بسَرِف» [مكان]. لقيها رجل من أخوالها من بني ليث، يقال له: عُبيد بن أبي سلمة.. فقالت له: مَهْيَمْ؟ قال: قُتل عثمان.. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: اجتمعوا على بيعةِ علي. فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه [السماء على الأرض] إن تمَّ الأمرُ لصاحبك! رُدّوني، رُدّوني! فانصرفت إلى مكّة وهي تقول: قتل، والله عثمانُ مظلوماً، والله لاطلُبَنَّ بدمه! فقال لها: ولِمَ؟ والله، إنّ أوَّل من أمالَ حرفه لأنتِ، ولقد كنتِ تقولين: «اقتلوا نعثلا فقد كفر» قالت: إنَّهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقولي الأخير، خيرٌ من قولي الأول. فقال لها عُبيد:

فمنكِ البِرَاءُ، ومنْكِ الغِيرَ ومنْكِ الرياحُ، ومنكِ المطرْ

وأنتِ أمَرْتِ بقتلِ الإمام وقُلْتِ لنا: إنّه قد كفَرْ
فهبْنا أطعْناكِ في قَتْلِهِ وقاتِلُه، عندنا، من امَرْ[١]

لقد أسهمت عائشة في تشريع التكفير ضد المسلمين، بل ضد اثنين من الخلفاء الراشدين، وحرّضت على قتلهما.. في حين قال الإمام علي عليه السلام لعثمان عندما دخل عليه ونصحه من خطبة طويلة: أحذِّرُكَ أن تكون إمام هذه الأمَّة الذي يُقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويُلبِّس أمورَها عليها، ويتركها شيعاً لا يبصرون الحق لعلُوِّ الباطل، يموجون فيها مَوْجاً، ويمرجون فيها مَرْجاً...»[٢]. لقد أشفق الإمام علي أن يكون مقتل عثمان سُنّة لاقتتال المسلمين وتمزيق وحدتهم..



(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٤٨؛ ابن الأثير. الكامل في التاريخ: ٣/٢٠٦، طبعة بيروت، دار صادر ١٩٦٥.
(٢) الكامل: ٣/١٥١.

حروب الإمام علي عليه السلام

برر عليٌّ حروبه مع المسلمين، وكثير منهم صحابة، بأمر نبوي قال: «أُمِرْتُ [من النبي] بقتال النَّاكثين والقاسطين والمارقين»(١).

قال تعالى عن النّاكثين بالمطلق: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾(٢).

وقال أيضاً: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾(٣).

الناكثون: النكث: نقض العهد.

إن الإمام علي عليه السلام لم يبادر إلى محاربة هذه الجماعات التي خاصمته، بل أرسل رُسله إليهم ودعاهم للعودة إلى حضن الوحدة الإسلامية، لأنه كان يحمل لواء الشرعية بعدما نال البيعة من عموم المسلمين، وخاصّة الناكثين، لأن قادة هذا الفريق هم من بايعه أي طلحة والزبير وكانا في صفِّه عند اختيار الخليفة الثالث... عندما آلت الخلافة إلى علي، كانت عائشة بمكة، تمرَّدت على خلافته وكانت تريدها لطلحة أو لصهرها الزبير.. طلبتهما إلى مكة، طلبا

(١) لسان العرب: مواد: نكث، قسط، مرق..
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

الاذن من علي بهدف العُمرة فقال علي: «ما خرجا للعمرة، إنما للغَدْرة» سمح علي لهما بالخروج من المدينة مع أنه كان يعلم بنواياهما.. علي المشبع بروح الحرية، (الديمقراطية) ما ضرب أعناق الخارجين عليه، للتخلص منهم، كما يفعل الملوك والسلاطين في العالم.. ما فوَّت الفرصة، بل تركهما للنّصيحة... أو الاستغراق في الفساد ليستحقا العقاب...[1]

قادت عائشة وطلحة والزبير المعارضة وخفّوا إلى البصرة، وكانت لعشائرها ثارات عند علي، في حروبه مع النبي من بدر إلى أحد وحنين... دعاهم علي إلى كلمة سواء... لكنهم بدأوا بالفساد، أمسكوا عثمان بن حُنيف والي البصرة من قبل علي عليه السلام، نزعوا شعر حواجبه وشعر لحيته، عذّبوه، واعتدوا على أنصار علي في البصرة، ضربوهم، سجنوهم قتلوا بعضهم.. أفسدوا في الأرض فاستحقوا القتال..

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]، الفساد في الأرض فتوى القتال، كانت معركة الجمل عام (٣٦هـ / ٦٥٧م) وهي حروب الصحابة ضد الصحابة صحابي يقتل صحابياً ويردد «الله أكبر».

لكن القتال كان يجري وفق شريعة الحروب: لا تجهزوا على

(١) في كنز العمال: «يا علي ستقاتل بعدي الناكثة، والقاسطة والمارقة» [٤٤٢١٦].
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

جريح، لا تتبعوا فارّاً، لا تمثلوا برجل، لا تنفِّروا طائراً، لا تقتلوا طفلاً أو إمرأة، لا تقطعوا شجرة... ما كانت حروباً حاقدة تقتل بحقد وتدمر الإنسان والعمران. ولما انتصر أطلق عائشة ومعها النسوة، فغضب بعض قادة علي، وقالوا: نريد الغنائم، فأجابهم: أيكم يريد أن تكون زوج النبي عائشة في سهمه فسكتوا.

القاسطون: هم جماعة جاروا في الحكم وبَغَوا، وقصد بهم أهل الشام وصفّين.

(قسط) من الاضداد: معناها (عَدَلَ - جارَ) جاء في المثل: «هو قاسطٌ، غيرُ مقسِط» أي جائرٌ غيرُ عادل. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1] رفض معاوية الاجماع في مبايعة علي، وتمرّد في الشام، مطالباً بدم عثمان..

بعث الإمام علي إلى معاوية الكتب والرسل، يدعوه إلى الايمان والخضوع لخليفة المسلمين الشرعي، وقد بايعه الناس، دعاه إلى الطاعة، والحفاظ على وحدة المسلمين.. لكن معاوية الذي تفرَد ببلاد الشام، وكان ولاّه عليها قريبه عثمان.. أبى الخضوع، وراح يرسل وحدات من جيشه تغزو المناطق العراقية الحدودية التابعة للإمام علي.. وكان جنوده يعيثون فساداً في الأرض تلبية لأوامر معاوية..

ضم نهج البلاغة عديداً من الكتب الموجهة إلى معاوية، لإلقاء الحجة عليه وعلى أتباعه (كتاب ٢٤٤ - ٢٤٥ ...).

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٥.

ذكر الإمام علي في خطبة الجهاد صورة للفساد الذي ارتكبه جيش الشام في غارة على (الأنبار) العراقية: «هذا أخو غامد قد بلغت خيله الانبار، وقتل واليها حسان بن حسان البكري، وقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع منها: حجلها، وقلبها، وقلائدها، ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع وا لاسترحام، ثم انصرفوا وافرين...»[١].

أوضح الإمام علي في خطبته أعمال معاوية الإفسادية، أرسل أحد قادته سفيان بن عوف الغامدي إلى العراق وأوصاه: «أقتل كل من لقيته ممَّن ليس هو على مثل رأيك، وأخْرب كلَّ ما مررت به من قرى»[٢].

ظاهرتان:

أ - لقد ألغى الديموقراطية بل قتلها؛ هل يحق للانسان أن يقتل كل من يلقاه وهو ليس على مثل رأيه؟ هذا هو التكفير السياسي، لأن معاوية ما كان مؤمناً، بل متظاهراً بالإسلام وحفظت له كتب التاريخ والأدب هذه المقولة: «أنا لا أقاتلكم لتصوموا أو تصلوا وأنتم تصلون وتصومون، بل لأتأمّر عليكم».

ب - تخريب العمران والحضارة، أي الفساد في الأرض.. وأضاف بسلب النساء وترويعهنّ وقتل بعضهنّ.

(١) نهج البلاغة خطبة رقم (٢٧).
(٢) شرح نهج البلاغة ٨٦.

هذه الاعتداءات المتكرِّرة من العراق إلى اليمن حيث فعل بسر بن أرطأة أبشع الأعمال عندما قتل الاطفال والرجال الأبرياء والنساء..

قرر الإمام علي عليه السلام المواجهة في قتال القاسطين الذين زرعوا الارهاب في الامصار الإسلامية، وكانت موقعة صفين.

قبل بدء الحرب أطلق الإمام وصية لاتباعه تكشف الروح الإسلامية والإيمانية في التصرفات للعسكر إبان الحرب، كتاب [٢٥٢].

«لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حُجَّة، وترككُم إياهم حتى يبدؤوكم حجَّة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله (للعدو) فلا تقتلوا مُدبراً، ولا تصيبوا مُعوِراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساءَ بأذى، وإن شتمْنَ أعراضكم، وسبَبْنَ أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى، والأنفس، والعقول، إنْ كُنا لنؤمر بالكفّ عنهُنَّ، وإنهُنَّ لمشركات».

هذه أخلاق الحرب عند الإمام علي عليه السلام، أطلقها لتكون دستوراً للحروب حتى لا يتمادى العسكر بالقتل والتدمير وانتهاك الاعراض وتتمثل في:

١ - الحُجِيَّة للحرب، أي المبررات الشرعيَّة [الحُجَّة].

٢ - عدم البدء بالقتال، انتظاراً للمصالحة، وحجب الدماء، والبدء بالقتال هو اعتداء ويُسقط الحجيَّة.

٣ - النصر من عند الله، والهزيمة بإذنه.

٤ - لا تقتلوا مُدبراً، أي عدم مطاردة الفارّ وقتله.

٥ - لا تصيبوا مُعوراً: أي لا تقتلوا مستسلماً ضعيفاً.

٦ - لا تجهزوا على جريح: الاجهاز: إكمال وإتمام عملية القتل. في أخلاق الحروب: لا يُقتل الجريح، بل يُعالج ودخلت هذه الظاهرة شرعة الأمم المتحدة.

٧ - عدم التعرض للنساء: المسلمات والمشركات «ولو سببن أمراءكم»، كان الإمام علي يعمل بهذه المبادىء، ويفرضها على جيشه، لأنها تمثل أحكام الشريعة الإسلامية..

عرفها قبل أن تطلقها هيئة الامم بأكثر من ألف وثلاثمائة سنة.

المارقون: إنتهت معركة صفين بالتحكيم، وتمخّضت بدعة التحكيم وخدعته عن ظهور الخوارج، ثم أدت إلى سقوط العمل السياسي لدى أهل البيت [صفين هي التي أخرجت أهل البيت من العمل السياسي] قتل علي في محرابه ونقض معاوية صلح الحسن، ودس له السم مع جعدة بنت الأشعث وأوصى يزيد بقتل الحسين، وبعدها سقط العمل السياسي عند الأئمة، وكانوا كالانبياء الذين ما تملكوا بل كانت رسالاتهم هداية الملوك والناس وأشار الإمام إلى ذلك بقوله: «كانت أثرَة شحت عليها نفوس قوم وسخَتْ عنها نفوسُ آخرين، والحَكَمُ الله، والمعودُ إليه القيامة»[1].

---

(١) كلام: ١٦٠.

الخوارج: «جماعة يمرقون من الدين كما يخرج السهم من الرَمِيَّة» أي الطريدة.

بعد إخفاق التحكيم خرجت جماعة من جيش الإمام علي ورموه بالكفر فأجابهم: «أبَعْدَ إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله، أشهدُ على نفسي بالكفر»[1] ما قاتلهم الإمام علي مباشرة بل أرسل إليهم عبد الله بن عباس يدعوهم للرجوع عن التكفير لإمامهم والعودة إلى الإسلام وقد خرجوا منه خروج السهم من الطريدة.. لكنهم استمروا في غيِّهم، وراحوا يفسدون في الارض صاروا يقتلون كل من يوالي علياً. حتى ضج الناس فقاتلهم الإمام علي وقتلهم كانوا حوالي أربعة آلاف إلّا نفر فرّوا وهم أقل من عشرة.

ثم نهى أصحابه عن قتال الخوارج بعده: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقَّ فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه»[2].

ومن وصية له لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج: «لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال، ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُنَّة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»[3].

(١) كلام: ٥٨؛ كلام: ١٢٥.

(٢) خطبة: ٦٠.

(٣) النهج وصيّة ٣١٥.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام

بدأت حروب الردَّة ضدّ جماعات انقلبت على الإسلام، أما ثورة الحسين عليه السلام فكانت مغايرة، هنا خليفة المسلمين ارتدَّ على الإسلام، وراح يُسقط شعائره؛ فنهض الحسين للإصلاح في أُمَّةِ جدِّه».

الإصلاح يكون بعد انتشار الفساد، أي أفسد يزيد، فوجب على الفقيه أو الإمام، الخروج على الفاسق والفاسد. . . «من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض» هذا يبرر ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

كانت الردَّة تهدف إلى إفساد الدين، وقامت ثورة السِّبط رمزاً للإصلاح في الإسلام. .

ردّة يزيد هي إرث والده معاوية الذي عهد عنده الغاء ذكر بني هاشم وخاصة ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. . قال أبو سفيان للعباس يوم فتح مكَّة: إن ملك ابن أخيك صار عظيماً. . فأجاب العباس: «إنها النبوّة» فقال أبو سفيان مُصِرّاً: إنه المُلك. . دخل المغيرة على معاوية وهنأه بالملك الذي آل إلى الأمويين بعد مقتل الإمام علي عليه السلام. وموت الإمام الحسن عليه السلام بالسم. . تحادثا طويلاً، حتى صدح المؤذن. . . أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

إنتفض معاوية، وصاح غاضباً: إسمع يا مغيرة، كيف تقول انتهى ذكر بني هاشم، وآل الملكُ إلينا، ألا تسمع المآذن تصيح يومياً خمس مرات باسم ابن أبي كبشة (يعني محمداً)، يا مغيرة هذا هو الملك الذي لا يبلى، باللات والعزَّى.. لأعمل على محو هذا الاسم، وسأمهد لذلك بشتم علي على المنابر، وبشتم محمد ضمناً ثم علناً، إلماحاً إلى الحديث: «على منى وأنا من علي، من سبّه فقد سبّني..».

وسأعهد إلى يزيد من بعدي بقتل سلالة محمد، ومحو ذكره.. دس معاوية السُمَّ للحسن على يد جعدة بنت الأشعث، وأمر يزيد بقتل الحسين وأولاده وأقاربه، ولما وصل إليه رأس الحسين أنشد:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا — جَزَع الخزرج من وقع الأسلْ
لو رأوه، استهلوا فرحاً — ثم قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلْ
لست من خندف إن لم أنتقم — من بني أحمد، ما كان فَعَلْ
لعبت هاشمُ بالمُلكِ فلا — خبرٌ جاءَ، ولا وحيٌ نَزَلْ
قد أخذنا من عليٍّ ثأرنا — وقتلنا الفارسَ الليثَ البَطلْ
وقتلنا القرم من ساداتها — وعدلناه ببدْرٍ، فاعتَدَلْ[1]

ملاحظات:

١ - الثأر لبدر.

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين ١٦١ - ١٦٢.

٢ - الانتقام لأشياخه: ربيعة وشيبة والوليد أجداد يزيد وأخواله.

٣ - النبوة هي ملك لعبت به هاشم.

٤ - إنكار الوحي والقرآن وأخبار السماء..

٥ - الثأر من علي الذي قتل صناديد قريش الكافرين.

هذه أبيات تردُفها أبيات تنكر الوحي، ولا تعرف إلا المُلك.. صادرة عن خليفة المسلمين وفي أبيات أُخر ينكر القيامة والحشر.

وإن تعذلوا فالعذل ألقاه آخراً إذا ضمِنَّا يومَ القيامةِ محشَرُ[1]

ارتدَّ يزيد (الخليفة زوراً) على الإسلام، وانتقم من آل أحمد.. وأنكر الوحي، وقال: بِسُنَن الجاهلية، وتابعه الفقهاء وشربوا الخمرة معه، وصلَّوا خلف الجارية السَّكري.. واخترعوا إسلاماً مزيَّفاً يسكتون به جمهور المسلمين.. هذه الردّة من الخليفة وفقهائه احتاجت إلى ثورة الحسين.. فاتهموه بالخروج على الخليفة، وما استطاعوا أن يتهموه بالخروج على الدين، فأباحوا قتله بشكل مأساوي:

١ - منعوه وأطفاله وأصحابه الماء (ماتوا عطاشى).

٢ - قتلوا أطفاله وأصحابه وبعض نسائه.

٣ - قتلوه، مثّلوا به، رضوا صدره بالخيل، ثم قطعوا رأسه ورفعوه على الرمح، وساروا به في بلاد المسلمين.

---

(١) أبو محنف ١٦٥.

هذه الاعمال لا تصدر إلا عن مسوخ، فقدوا إنسانيتهم.

لقد أسقطوا بقتل الحسين عليه السلام حرمة الإنسان بالمطلق، وأسقطوا قيمته في الدنيا، وصار من المباح قتل الناس الابرياء، والاطفال والنساء وتقطيع أجسادهم بأبشع الأشكال، ارتد المسلمون في كربلاء على القرآن «قل لا اسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى».

فكانت المودّة قتلَ القُربى.

قال لهم الحسين يوم عاشوراء: هل يوجد على وجه الأرض اليوم ابنُ بنت نبي غيري؟ فلما تقتلونني، قالوا: ارتداداً على الآية، نريد أن نقتل القربى.

ثم انقلبوا على أحاديث النبي: «حسين مني وأنا من حسين» «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة».

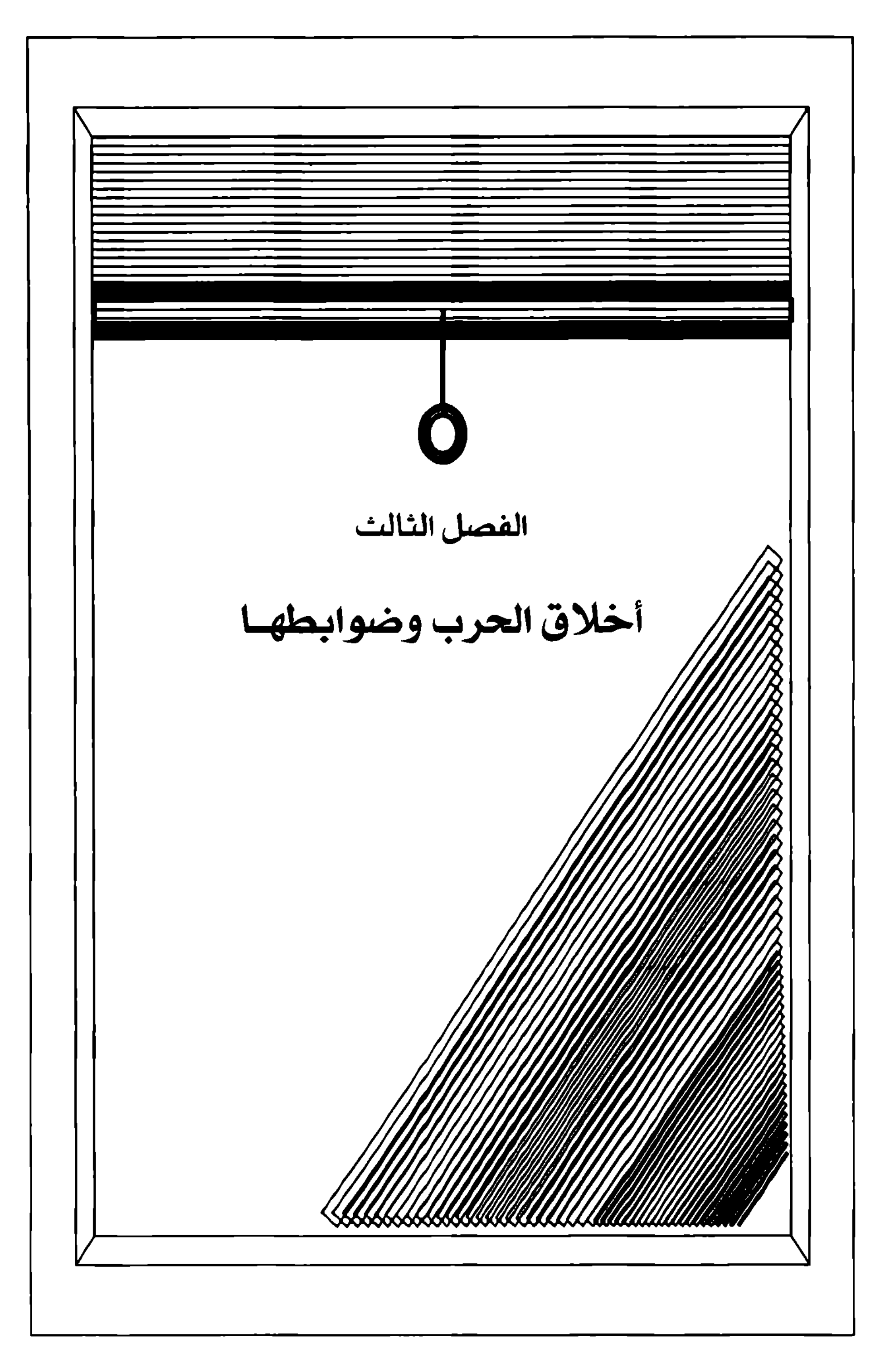
مَن نصدّق، رسول الله في أحاديثه، لحماية الحسين، وتبيان دوره الرسالي، أم نصدِّق المسلمين وأفعالهم في قتل الحسين استجابة لأوامر خليفتهم المزوّر؛ إذ صار الحسين سيّد شباب أهل الجنة خارجياً كافراً يستحق القتل والنار.. واستمر العهر التكفيري خلال قرون، وقال به بعض من نال شهرة في علم الاجتماع أي ابن خلدون (م ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) الذي قال: «الحسين قتل بسيف جدّه» أي خرج على خليفة المسلمين فاستحق القتل؟ من نصدق ابن خلدون أم رسول الله. الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

نقبل نفاق ابن خلدون الحسين قتل بسيف جدّه، ويذهب إلى النار، أم الحسين الذي قال: «خرجت للاصلاح في أمة جدّي».

انتهت حروب الردّة عندما عمّ الإسلام الاقطار العربية وبلاد فارس، وانتقل الحكام إلى اتهامات جديدة، توجه إلى الثائرين على ظلم السلاطين وانحرافاتهم.. صارت التهم بالخروج على الخليفة، أو الزندقة في العصر العباسي هي التي تبيح قتل المعارضة أو التكفير لمن لا يسبّح بحمد السلطان التركي.

ما عادت الحروب للدفاع عن الإسلام ضد المرتدِّين، إنما تخاض للدفاع عن الحاكم المسمَّى (خليفة) وتحت هذا العنوان تقمع الثورات التي تندِّد بالظلم السياسي والاقتصادي والعقائدي أحياناً، ويوصم أصحابها بالزندقة والخروج على الحاكم.





الفصل الثالث

أخلاق الحرب وضوابطها

ضوابط الحرب في الإسلام (أخلاق الحرب)

أباح الإسلام الحروب دفاعاً عن النَّفس، ووضع لها الضوابط؛ فالإنسان في الحروب يبيح المحرمات، والمحظورات ويتعدّى حدودَ الله، وحدود الإنسانيَّة.. إن رهبة الحرب، ومشاهد الدماء تسيل، وجثث القتلى، تولّد خوفاً من الموت، فيرتاع المحارب، ويستهلك كل ما يلقى في طريقه، وينسى ضوابط الحرب التي أمر بها الله والرسول..

لقد وضع الخالق، صاحبُ التشريعات الإلهيَّة ضوابط للحروب على المقاتل ألا يتخطاها؛ لأنها تحفظ الإنسان والحضارات والبيئة وإذا وقع فيها الجيش فهي تسيء إلى الإسلام وإلى الإنسان.. هي أخلاق الحرب، لا يصبر عليها إلا الشجعان والاتقياء..

عندما تزحف الجيوش، في الحروب الظالمة، تروّع بتصرفاتها الغلط: الاطفال والنساء والحيوانات، تقتلع الأشجار، تعبث بالزروع.. لا تتورَّع عن قتل طفل يبتسم، وأم ترضع وليدها.. لا توفر مظاهر الحضارة، وتراث السّلف هي جحافل تتار ومغول، حيث تمرُّ تترك الأرض العمارَ بلقعاً، لا حياة فيها.. حروب تدمر خلال أشهر ما بناه الإنسان الحضاري خلال قرون، وأحياناً تعتدي على

أضرحة الأنبياء والأولياء.. قد تنبش القبور، لأنها حروب قامت باسم الإسلام، مع أن الدين حرَّمها، وصنَّفها إرهاباً.. كانت تعليمات النبي ﷺ واضحة يزودها لأصحابه إبّان الغزوات والسَّرايا وحفظوها لكثر ة ما ردَّدها، لكن بعض قادة النبي حفظوها وخالفوها، وصارت المخالفات سُنّة يعتمدها المسلمون للثأر، والأحقاد، وطلباً للغنائم...

إذا خرج الجيش قال لهم: لا تروِّعوا طفلاً ولا إمرأة، لا تتبعوا فارّاً، لا تجهزوا على جريح أو أسير.. لا تنفروا طائراً، ولا تقطعوا شجرة...

في موطأ مالك: إن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه إمرأة مقتولة، فأنكر ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان «لا تقتلوا وليداً.. ونهى عن الغدّر، والتمثيل في جثث القتلى..»[1]. هل التزم المسلمون تعاليم النبي ﷺ؟ قلّة التزمت وكثرة خالفت، ولا يزال المسلمون يخالفون وبشدَّة، إذ يبيحون بفتاوى غلط قتل المسلمين، ونهبَ أموالهم، وينتهكون الأعراض مما يضعهم أمام محاكمات: القتل، والسرقة والزنى.. ولما كانوا هم الأقوياء في الحروب والفتن الارهابيَّة، فإنهم يفسدون في بلاد الإسلام، في موطأ مالك عن عبد الرحمن بن كعب أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ الذين قتلوا (ابن أبي الحُقيق اليهودي) عن قتل النساء والولدان.. قال: فكان رجل من

(١) موطأ مالك: ٢/ ٦ - ٧.

الصحابة يقول: برَّحت بنا إمرأة ابن أبي الحُقيق، بالصِّياح، فأرفع السَّيف عليها، ثم أذكر نهي رسول الله ﷺ فأكُفّ. ولولا ذلك استرحنا منها»[١]. هذا صحابي كتب على نفسه الالتزام بتعاليم النبي، وكفَّ عن قتل إمرأة أزعجتهم، لقد عمل بأخلاق الإسلام، في الطرف الآخر من المسلمين كثرة شذّت، وقتلت في حروب ظالمة آلاف الأبرياء.. بما فيهم النساء والأولاد..

الإمام علي والروادع

كان بطل الإسلام في الذود والدّفاع، من بدر حيث قتل وحده نصف قتلى المشركين، كما في سيرة ابن هشام.. إلى الخندق وقد جدّل قائد الكفار عمرو بن وِدّ مما جعل الأعداء ينهزمون إلى (أُحد) و (حُنين).. إلى خيبر واقتلاع باب الحصن وقتل بطل اليهود مرحب.

بطل الحروب وضع الضوابط الإسلامية وعمل بها كما أخذها عن ابن عمه الرسول الأكرم ﷺ.

١ - عدم البدء بالقتال: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم»[٢].

٢ - آداب النَّصر: قال لعسكره قبل الحرب: فإذا كانت الهزيمة [للعدو] بإذن الله، فلا تقتلوا مُدْبراً، ولا تصيبوا مُعْوِراً، ولا تجهزوا

(١) موطأ مالك: ٢/٦.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ١٤.

على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم[١].

٣ - أوصى أحد قادته: «لا تقاتلنَّ إلا من قاتلك».

٤ - الماء للجميع: في معركة صفين، وصل أهل الشام إلى المشرعة واحتلوها، وحاولوا منع جيش الإمام علي من الماء، فأرسل الإمام قائده مالك الأشتر مع أربعة آلاف، فطردوا جيش الشام واستولُوا على المشرعة فقال عليٌّ لأصحابه: إشربوا واتركوا القوم يشربون.

الضوابط الإسلامية للحروب:

الحرب المشروعة أبغض الحلال عند الله. . خلق الإنسان للحياة، والموت العادي انتقالاً إلى جنّة شاءها له، أو نار شاءها المرء لنفسه. .

إن الآيات القرآنية، والاحاديث النبويَّة، وتصرفات الإمام علي عليه السلام [٢] رسمت حدود الروادع الانتقامية في الحروب. . وجعلتها تخفّف من وطأة القتل والانتقام، وتحدُّ من الخراب والدمار. . وتحفظ الإنسان غير المقاتل. . .

---

(١) نهج البلاغة: كتاب ١٤. المعْوِر: الذي يستسلم، أو الذي يكشف عورته إحتماء بها، كما فعل عمرو بن العاص، يوم صفين.

(٢) الإمام علي عليه السلام: هو الذي حسم المعارك مع المشركين في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من المبيت على الفراش إلى الهجرة مجاهرة ومعه الفواطم ثم إلى بدر والخندق وأُحد وخيبر وحنين.

١ - عدم بدء العدو بالقتال؛ لإلقاء الحجة عليه. .

٢ - الميل إلى السِّلم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[1].

٣ - عدم الغدر.

٤ - حرَّم التمثيل في جثث القتلى.

هذه الظاهرة تحفظ حرمة الميت، وإن كان عدوّاً، أو مجرماً. . للميت حرمة، تتمثل في دفنه لا في تقطيع أجزائه. . إن المسلمين بعد الرسول رفضوا حديثه. . «إيَّاكم والمثلى ولو في الكلب العقور» أما الإمام علي عليه السلام فقال للحسن والحسين بعد أن ضربه ابن ملجم: «إن أنامِتُّ، فضربةٌ بضربة، ولا تمثلوا بالرجل». التمثيل يثير الاحقاد والضغائن. . لكن المسلمين العُتاة، مثَّلوا بالحسين وقطعوا رأسه، وحملوه على الرمح ويومها أسقطوا قيمة الإنسان، وصارت هذه البدعة سُنّة مارسها الحكام المسلمون ضد الإنسان البريء قبل المسيء. .

٥ - الرحمة في القتل.

عند إنزال القصاص، أمر الإسلام استخدام الرحمة في القتل والجلد. . . لا تنفّذ العقوبات في حر الشمس، أو برد الشتاء إنما في مكان معتدل الحرارة، ولا تنفَّذ انتقاماً وتشفياً مليئة بالانتقام، لم يأمر النبي بذبح إنسان واحد، التكفيريون، يذبحون ويذبحون باسم الإسلام والنبي زوراً وتشويهاً لتعاليم الدين الحنيف السموح.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

٦ - عدم الاعتداء على النساء والاطفال والمسنين.

على مرّ التاريخ الإسلامي أفتى وعاظ السلاطين بسبي نساء المسلمين وقتل أطفالهم والمسنين منهم.

لقد سَبَوا نساء الوصي، بنات الرسول يوم كربلاء، وقتلوا الطفل الرضيع، وهو حفيد رسول الله.. واختلق لهم فقهاء المذاهب الأعذار...

٧ - قاتلوا من يقاتلكم، إسقاطاً للعدوان على الآمنين..

٨ - عدم الاعتداء على العمران.

٩ - عدم الاعتداء على الزَّرع والضرّع: الشجر، النبات، الحيوان.

١٠ - الغِلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾[١] يَغُلَّ: يخون في الغنيمة، أي يَسْرق من غنائم الحرب.

في موطأ مالك، قال أبو بكر لأحد قادته:

«إني موصيك بعشر: لا تقتلنّ إمرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هَرِماً، ولا تقطعنّ شجراً مثمراً، ولا تخربنَّ عامراً، ولا تعقرنَّ شاة، ولا بعيراً، إلا لمأكلة، ولا تحرِقنَّ نخلاً، ولا تغرقنَّه، ولا تغلُلْ، ولا تجبُن»[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٢) موطأ مالك: ٢/٦.

حُرمات المسلم

«من نطق بالشهادتين؛ حَرُم دمه وماله وعرضه»، قال النبي ﷺ : «كفّوا عن أهل لا إله إلا الله، ولا تكفروهم بذنب»[(١)].

كيف أباح المسلمون دم المسلم الناطق بالشهادتين.

إنّ حُكم النبي ﷺ يعصم كلّ مسلم، ويرفع عنه الاعتداء، والتعرُّض لملحقاته من عرض ومال.. ويكفّ عنهم التكفير بذنب هذا الحق له عوامل تحفظه، ذاتيَّة وخارجيَّة..

العوامل الذاتيَّة:

ترتبط بالفرد المسلم، ما دام مسالماً في مجتمعه، مؤدِّياً لفرائضه، لا يجترح الذنوب والجرائم ضد الآخر.. فهو مصونُ الحرمة التي منحتها له الشهادتان، يتمتَّع بها في مجتمع الإسلام. ولا يصح أن ننزع منه هذه الحرمة بإجتهادات خاطئة، إن كفرّناه، أحرجناه وأخرجناه، بينما المطلوب أن نشجّعه على الخير والإيمان والتقوى ولا ترتبط حرمة الدم وإباحته بدرجة الإسلام والإيمان الأول يتحقق بالشهادتين والثاني يحصل بإتمام الفرائض والواجبات مزّينة بالورع.

(١) كنز العمال: رقم ٨٢٧٠.

صانت التعاليم دم المسلم والمؤمن وغير المسلم، ما دام المرء لا يمارس الاعتداء على حقوق الآخرين، لا يقتل عمداً، ولا يُفسِد في الأرض.. لقد غاص الخوارج، أصحاب الجباه السود، في الإيمان، حتى بلغوا طرفه الآخر، وخرجوا منه...

أمّا إذا اقترف ذنباً بالاعتداء على أخيه الإنسان، عندها يخضع للقضاء، والعقاب، ولا تسقط حُرمةُ العِرض... إنْ قتلَ نفساً بغير نفس، عقابه «النفس بالنفس» أو الديَّة، ويكون بتصرفه قد أسقط الحُرمة التي منحه إياها الحديث النبوي.. وهو لا يتَّهم بالكفر، ما دام لم يتنكَّر للشهادتين، إنما يحاسب بالذنب الذي اقترفه.. وهذه الأحكام القضائية تُلزمُ مرتكبَ الذنب فقط، ولا تطال الأهل والأقارب والجماعات البريئة..

العوامل الخارجيَّة: ترتبط بالمجتمع وثقافاته من الحاكم إلى الشعب..

أ - **الحاكم**: الحاكم العادل، واجبه أن يصون الرعيَّة ومصالحها، أما الظالم فينتهك حقوق الناس، قد يقتلهم للظِنَّة، ويصادر أموالهم، وأشياءهم.. هو يعطّل أحكام الشريعة، والقوانين بدل أن يصونها ويرعاها.. وقد يعتمد تبريرات مثل «تهمة الزندقة» والكفر..

ب - **الجماعات الثائرة**: عندما تندلع الثورات في بلاد المسلمين، يحلل فقه الثورات الغاشمة. دماء الناس الابرياء، الذين

لا يشاركون في القتال، ويبيح زوراً أموال الشعب بادعاء تمويل الثورة، ويغتالون الأمن، إن الثورات غير العادلة تلغي حرمة الإنسان..

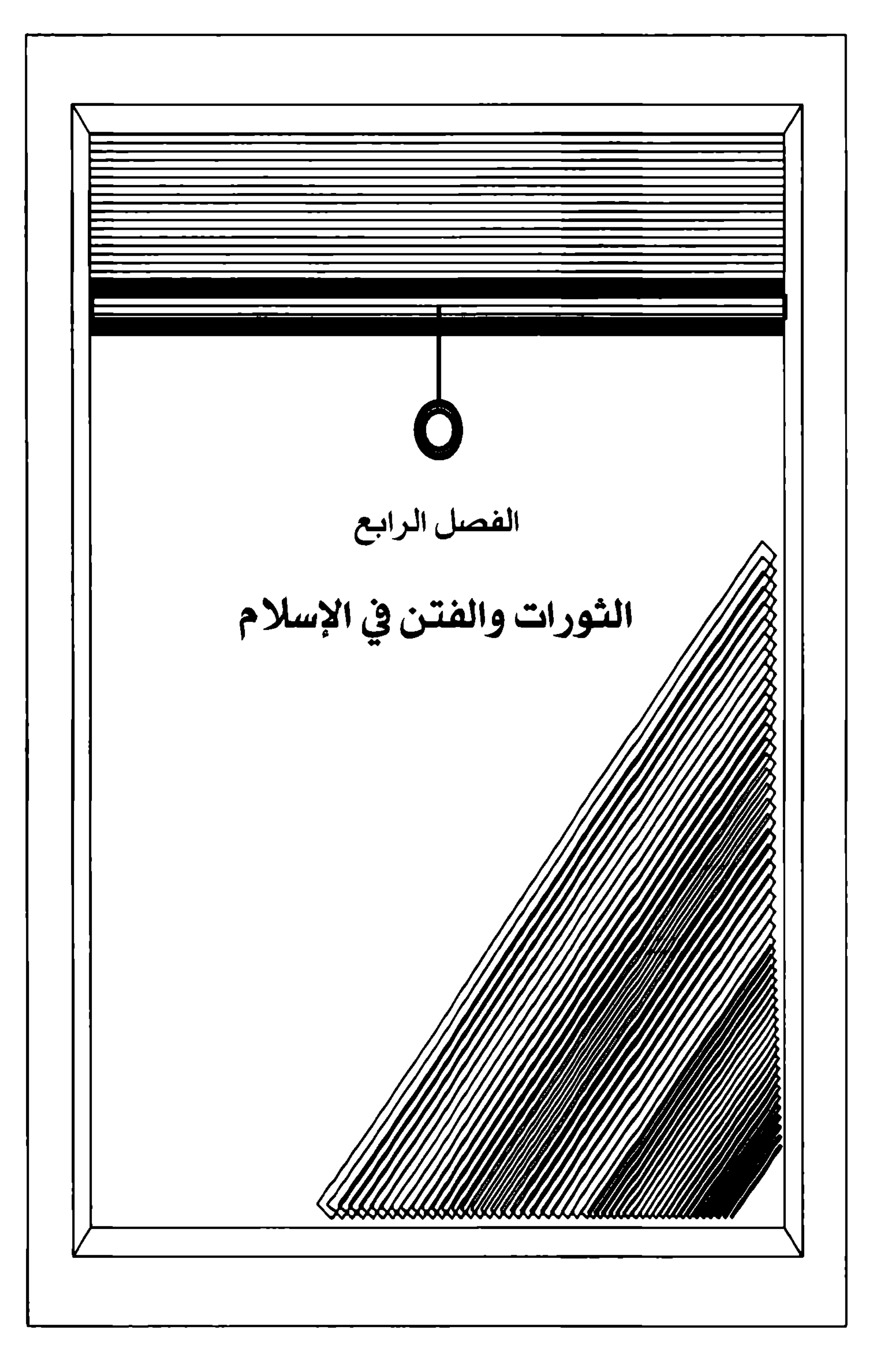
وتتحول المجتمعات الإسلاميَّة إلى مجتمعات إرهابيَّة مدمِّرة للدين والحضارة، تحكمها البِدَع مبدَلة الأحكام والاعراف والاخلاق... دعا الإسلام في تعاليمه إلى عدم ترويع الاطفال والنساء والطّير.. وإلى حفظ الزّرع والضِّرع... خلال الحروب لكن الثورات الارهابية في البلاد العربيَّة تجاوزت حدود الأخلاق والحضارات والإنسانيَّة..

في عهد الفتوحات الإسلامية، كانت بعض النسوة يتطوّعن لمرافقة الجيوش، وكنّ يساعدن في إعداد الطعام، ومداواة الجرحى.. مع الالتزام بالشرف.. مثل خولة بنت الأزور (م ٣٥هـ) التي شاركت في فتوح الشام..

هذه الظاهرة استغلها التكفيريون، وابتدعوا جهاد النكاح للمرأة العربية المسلمة.. مثيرين بدعة مخزية، لأنها ليست من إسلامنا ولا من ثقافتنا ولا من تاريخنا ولا من عاداتنا..

نحن ندافع عن الإسلام من جرائر المسلمين الغلط.





الفصل الرابع

الثورات والفتن في الإسلام

الثورات والفتن في الإسلام

الثورات

هي إنتفاضات مسلّحة، ومشروعة عادة؛ لأنها تهدف إلى إصلاحات تحرُّريَّة: دينيَّة، أو وطنيَّة، أو إجتماعيَّة.. أي ردع المظالم والقهر في المجتمعات..

أما الفِتن فقال عنها القرآن الكريم: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[١].

«الفتنة: ما يتبيَّنُ به حالُ الإنسان من الخير والشر»[٢].

هي نزاعات تحريضيَّة بين الافراد والجماعات بدوافع ضيِّقة شخصيَّة وضغائنيَّة... هدفها القتل وسفك الدماء بلا مبررات، أي هي صراعات غير محقَّة.. «القاتلُ والمقتول فيها في النار».

الثورات: تتابعت في العالم لمناهضة الظلم.. أفضل ثورات الأرض هي ثورة الإمام الحسين عام ٦١هـ / ٦٨٠م. وقد حدَّد الحسين عليه السلام أسبابها وأهدافها: «ما خرجت أشِراً ولا بطراً، ولا ظالماً... إنما خرجت للإصلاح في أمّة جدّي..».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) الجرجاني: التعريفات ٢١٢.

تلك كربلاء، الفينيق الإسلامي، تتجدَّد ثورات، أو نهضات فكريَّة وثقافيّة لحفظ الإسلام، من الانحرافات عن خط الرِّسالة السماوية، صانته من الشِّرك بظهور فتن تدعو لاختراع شركاء لله وعودة إلى الجاهليَّة. . وعصمته من تبديل التعاليم في العقيدة والاخلاق والاجتماع. . قامت للإصلاح في أمة الإسلام وشكلت حارساً لا يغيب عندما يكون خليفة المسلمين المزوَّر هو المرتد. .

إن الثورات الحق تتميز بأهداف نبيلة، ومبادىء أخلاقيّة، تندلع لحفظ المجتمع والإنسان والعمران. . وتقوم من أجل تأمين العدالة بين الناس، ولا تقتلهم ظلماً، وبشكل وحشي. .

هناك ثورات ضد الاستعمار شهدتها معظم دول العالم المحتلّة، وبعضها تناول الظلم الداخلي يمارسه سلاطين ممسوخون حكاماً. .

نماذج الثورات التحرريّة:

١ - ثورة زيد الشهيد، ابن الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي عليه السلام. (٧٩ - ١٢٢) (٦٩٨ - ٧٤٠م).

مرَّ زيد بأطراف الكوفة شاهد إمرأة تقطع من جيفة، وتضع اللحم في صُرَّة اقترب منها وسألها: ماذا تفعلين يا إمرأة؟ قالت: إن الوالي قتل زوجي ظلماً، وترك لي صبية صغاراً يتضورون جوعاً، ويكاد الموت يدركهم. . «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه».

تألّم زيد لهذه المرأة، ولأمثالها، وهزّته جرائم الوالي التي

خرجت عن شريعة الإسلام.. فقال لها: يا إمرأة إن عملكِ هذا يريني حتفي مصلوباً على جذع نخلة في كُناسة الكوفة.

انصرف يؤلِّب الناس، ويحرِّضهم على الثورة ضد الطغاة والظلم والقهر.. بايعه أربعون الفاعلي: «الدعوة إلى الكتاب والسُنة، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، وردّ المظالم، ونُصرة أهل البيت» لكنّ أنصاره كانوا من أهل الكوفة الذين خذلوا أجداده الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام.. فخذلوه وانتهت ثورته باستشهاده فقيل له: زيد الشهيد.

له كتاب مسند الإمام زيد، وهو أول كتاب دوّن في الفقه الإسلامي[1].

إذا كان الناس بايعوه على هذه المبادىء التي ذكرتها كتب التاريخ والسِّير ماذا بقي في مجتمعهم الإسلامي من فضائل؟ وهل كانوا يعيشون حقاً في مجتمع إسلامي؟

٢ - الثورة الأميركيَّة: شبّت عام ١٧٧٦م لرفع الظلم عن الشعب الاميركي ضد التسلُّط الانكليزي، رفعت شعارات: حريّة، مساواة، إخاء.. بعد أن انتصرت الثورة. حقّقت هذه المبادىء لشعبها.. لكنها ذهبت فيما بعد إلى استعباد الشعوب، وقتلها، وتدميرها وسرقة مواردها وخيراتها.. فيتنام، أفغانستان، العراق... الخليج

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ١٢٧.

العربي.. وهي الدولة الوحيدة التي استخدمت القنبلة الذريّة في اليابان..

٣ - الثورة الفرنسية: إندلعت ضد الملكيَّة المستبدة عام ١٧٨٩م شعارها: حرية، عدالة، مساواة، هي أم الثورات في أوروبا، لتحقيق العدالة في مجتمعاتها، لكنها خانت مبادئها مع الشعوب المستضعفة.



الفتن

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(١).

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾(٢).

الفتنة: ما يتبيَّن به حال الإنسان من الخير والشر(٣).

الفتن صراعات تحريضيّة، تعشش بين فئات المجتمع المتعدد العقائد والأعراق. مهمتها التخريب وإشاعة الاقتتال.. والتسلط، متسلِّحة بالحقد ضد الآخر، وتبغي الهيمنة على الدولة أو تمزيقها إلى وحدات تسميها إمارات، لا تدوم طويلاً، هي إمارات في حي أو قرية أو مزرعة.. تعيش الفوضى والجهل ولا تعرف النظام.. وتعتمد القتل بدل الحوار والتبشير والدعوة إلى كلمة سواء.

الفتن منازعات ومخاصمات لا تهدف إلى إصلاح إجتماعي حقيقي، بل إلى تخر يب المجتمعات، وتحقيق مآرب ذاتية لأشخاص، يسعون إلى التسلط بانحلال الدولة وإلغاء سلطتها، وخلق

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) الجرجاني: التعريفات ٢١٢.

مجتمع متخلف، إذ لا مكان لهم في المجتمعات الحضاريّة والمثقفة..

يستغلون ضعف الدولة المركزيَّة، ويقومون بأعمال شغب تقتل الإنسان تستولي على المرأة والاطفال.. تنهب الاموال تخرب البيوت والمؤسسات والأوطان تحت شعارات طائفيَّة وعرقيّة متعصَّبة وحاقدة.. لا علاقة لها بالإسلام.. من كلَّفهم أن يُكرهوا النَّاس على الايمان وهذا أمر لم يفرضه الله على محمد ﷺ صاحب الرسالة..

الفتنويون: التكفيريون جماعات لا يحتملون رؤية السعادة تغمر الناس، ولا يطيقون الحضارة والعمران.. يغلب على تكوينهم الفيزيولوجي سرعة الغضب والتوحُّش، وقتل الفرح بين الناس «قلوبهم غُلف».

موقع الفتن في أحاديث الرسول ﷺ

حذّر النبي ﷺ المسلمين من الوقوع في الفتن، لأن ذلك يستأصل وجودهم وخاصة العرب. وحدَّد أسباب الفتن وظواهرها، ووصف أهلها واضطرابهم، وشبَّهها بقطع الليل.. وأرسل المشاركين فيها إلى جهنم أما السُّعداء فهم من تجنَّب الوقوع فيها.

هذه بعض أقوال للرسول في كشف أسباب الفتن وماهيّاتها..

١ - حذّر المسلمين من الوقوع في الفتن... «ستكون فتنةٌ تستنظف العرب (تستأصلهم) قتلاها في النار، اللسان فيها أشدُّ من

السيف»[١].

٢ - حدّد النبي ﷺ أحد أسباب الفتن، وهو عنصر المال قال: «إنّ لكل أُمَّةٍ فتنة، وفتنةُ أمَّتي المال».

٣ - التأرجح بين الايمان والكفر: الفتنُ مشبِّهات الأمور تثير الشبهات، لذلك وصف الفتنة بقطع الليل المظلم.

قال: «ليغشينَّ من بعدي فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرَّجل فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً.. القاعد فيها خير من القائم، يبيع أقوامٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل..»[٢].

٤ - الجزاء جهنّم: قال الرسول ﷺ: «تقع فتن القاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتلَ صاحبه». مع هذه الأحاديث يدّعي أهل الفتن أنّهم على الحق، وأن الايمان يقتصر عليهم، فيعمدون إلى قتل المسلم الآخر، وأحياناً غير المسلم.. طلباً للجنَّة.. مع أن النبي حدّد موقعهم «النار».

وقال: «إنّ السَّعيد لمَنْ جُنِّبَ الفتن»[٣].

موقع الفتن في نهج البلاغة: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها».

جال عليٌّ في تصوير الفتن، استقى من المدينة بعض المشاهد،

---

(١) سنن الترمذي رقم ٤٢٦٥، ج٤/ ١٠٢.
(٢) المصدر نفسه ٤/ ١٧٨.
(٣) سنن أبي داود ٤/ ١٠٠؛ الهندي، كنز العمال: ٣٠٨٩٣.

هي قطع الليل المظلم، الواقعون فيها سلكوا مسالك الشيطان...

١ - والناسُ في فتنٍ إنجذمَ فيها حبلُ الدين، وتزعزعت سواري اليقين، وتشتَّتَ الأمر، وضاق المخرج، وعَمِيَ المصدر... أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامُه، وقام لواؤه في فتنٍ داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها... فهم فيها تائهون، حائرون، جاهلون، مفتونون»[١].

صورة تنقل الفتنة برجالها وعواملها، ونتائجها، ترسم الحال الاضطرابية التي يعيشونها، هي باسم الدين زوراً، لأنّ «حبل الدين إنجذم» أي انقطع، إن أصحاب هذه الفتن انفصلوا عن الإسلام، وبقي ما أخذوه وراثة، وقد تزعزعت أركان اليقين، واختلفت الأصول في الفتاوى والاحتجاجات فكلٌّ يرجع إلى «أصل يظنه مرجع حق، وما هو من الحق في شيء». لقد تركوا القرآن والرسول وأطاعوا الشيطان وسلكوا طرقه.. ثم مزّقتهم الفتنة، وداستهم بأخفافها، أي أذلَّتهم... ثم قدَّم الإمام علي عليه السلام أروع وصف للواقعين في الفتنة: «فهم فيها تائهون، حائرون، جاهلون، مفتونون..». أكثر الإمام علي عليه السلام من وصف الفتن، وحذّر منها لأنها تهدم المجتمعات، حيث تكمن فيها أسرار التضليل، الفتن

(١) سنن أبي داود: ٤/ ١٠٣.
(٢) سنن رقم ٤٢٦٣.
(٣) نهج البلاغة خطبة ٢.

تدلِّس الحقائق، وتزيّن الشبهات، وتجمِّل الباطل، فيفعله المفتون على أنه حق. . فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا تُرَدُّ لها راية، فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها، وأغشت الابصار ظلمتُها للامام عشرات الحِكم التي تحذّر من الفتن لأنها شبهات.

تشتمل على لُبْستها. .

١ - دوامُ الفتن من أعظم المحن.

٢ - والٍ ظلوم، خيرٌ من فتن تدوم.

٣ - كُن في الفتنة كابن اللبون؛ لا ظهرٌ فيركب، ولا ضرعٌ فيحلب. .

٤ - إن الشيطان يُسنِّي لكم طُرقه، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة.

٥ - استعيذوا من مُضلاَّت الفتن. .

٦ - لا تكونوا أنصابَ الفتن وأعلام البِدَع.



الثورات - الفتن

هناك ثورات نشبت طلباً لأهداف مشروعة ومحقّة، محاربة الظلم، والتسلط والقهر..

لكنها سرعان ما غيَّرت مجراها، وتحوَّلت إلى فتن حاقدة ضدّ الإنسان والأوطان.. مثال ثورات الربيع العربي التي نهضت تطالب بالحريات العامّة وإسقاط الأنظمة المستبدة [الديكتاتوريّات] والتخلّص من حكام طغاة لكنها سرعان ما تحوّلت إلى فتن همها القتل والنّهب، والتخريب.. تحوّلت إلى زمهرير عربي ردّ الشعوب إلى جليد لا يعطي إلا الموت.. وراح الناس يتمنون لو عملوا بحكمة الإمام علي عليه السلام: «والٍ ظلوم خيرٌ من فتنٍ تدوم».





الفصل الخامس

فتنة القرامطة

فتنة القرامطة وتحركاتهم (٢٧٨ - ٣٣٩هـ)

القرامطة ينتسبون إلى قُرمط، حمدان بن الأشعث.

والقَرْمطةُ في اللغة صفة لمن يمشي متقارب الخطى..

بدأت ثورة القرامطة عام (٢٧٨هـ/ ٨٩٢ م) كان أول ظهورهم في سواد الكوفة. كانت ثورتهم اجتماعية اقتصاديّة بعدما استأثر العباسيون وأتباعهم من أتراك وفرس.. بأموال الشعب.. لبى عامة الناس من الفُقراء دعوة قرمط المشتهر بالزهد.. لكن القرامطة الذين يتّصلون بالاسماعيلية أحدثوا في الإسلام بدعاً فالصلاة خمسون فريضة في أول الدعوة، ثم خفّف عنهم قرمط الصلاة إلى أربع ركعات.. ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها[1] فرفع الناس أمرهم إلى السلطان العباسي وأخبروه بأن القرامطة قد أحدثوا ديناً غير دين الإسلام، «وأنهم يرون السيف على أمّة محمد إلاّ من بايعهم»[2].

هذه الفتوى عملت بها الثورات والفتن على مر التاريخ الإسلامي، «السيف في أمة محمد إلاّ من بايعهم».

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧/ ٤٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧/ ٤٤٧.

وحوَّلوا القبلة إلى بيت المقدس، والحج إلى بيت المقدس، ثم الكوفة، «وأن الجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شيء». .

التفَّ حول قرمط «مائة ألفِ ضاربِ سيف».

أعرض تحركات القرامطة سريعاً، لمقارنتها مع الفتن المتولّدة في الأمة الإسلاميَّة، وكلها تتشابه وتتقاطع في الاسباب والاداء والتصرفات والنتائج «التاريخ يعيد نفسه» عام (٢٨٦هـ / ٨٩٩ م) ظهر القرامطة في البحرين، وأشاعوا أن الإمام المهدي قد ظهر، ويدعوهم إلى نُصرته. . [١]. بعد عام استولى القرامطة بقيادة أحد زعمائهم أبي سعيد الجنابي على البحرين وهجر، وهزموا جيش المعتضد العباسي. وقام الجنابي بقتل الأسرى وإحراقهم. .

ثم هاجمهم بدر الطائي، من قبل السلطان، فظفر بهم، وقتل منهم كثيراً، وبعد ما تفرقوا في الصحراء أخلى سبيلهم. .

عام (٢٨٩هـ) أعاد القرامطة تجميع قوتهم، واجتاحوا دمشق، وهزموا واليها طغج، وأكثروا القتل فيها[٢]، وسرعان ما ظهروا في العراق مجدداً وحاولوا الاستيلاء على بغداد وأحرقوا مسجد الرصافة.

عام (٢٩٠هـ) حاصر القرامطة دمشق، ودخلوها، واجتمع الناس ضدّهم من مصر إلى الشام إلى العراق للخلاص من أعمالهم. . فقُتل

---

(١) الكامل في التاريخ: ٧/ ٤٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٧/ ٥١٢.

شيخهم يحيى بن المهدي وتولى مكانه أخوه أحمد صاحب الشامة وتسمَّى المهدي، أمير المؤمنين، واستولى على حمص وخطب على منابرها، «ولما أطاعه أهل حمص، وفتحوا له بابها، خوفاً منه، سار إلى حماه، ومعرَّة النُّعمان وغيرهما.. فقتل أهلها، وقتل النساء والصّبيان، ثم سار إلى بعلبك فقتل عامَّة أهلها، ولم يبق منهم إلاَّ اليسير.. ثم سار إلى سلمية.. فمنّعه أهلها، ثم صالحهم، وأعطاهم الامان، ففتحوا له بابها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم، وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين، ثم قتل البهائم، والصبيان بالمكاتب، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف»[١].

وتحدث ابن الأثير عن إمرأة هاشميَّة قتل القرامطة أهلها وتزوجها صاحب القرامطة ثم أعطاها لأربعة من قوّاده ولما وضعت طفلاً ما كانت تدري «ممن هذا الولد منهم»[٢] وكانت إمرأة قد أضاعت إبناً، فبحثت عنه مع القرامطة فوجدته، أبى أن يكلمها وقال لها: «أخبريني ما دينُك؟ فقلتُ: أما تعرف ما ديني؟ فقال: ما كنّا فيه باطل، والدين ما نحن فيه اليوم».

عام (٢٩١ / ٩٠٣م) انهزم القرامطة في مواجهة مع المكتفي العباسي في الرقَّة لكنهم أعادوا تجمعاتهم وظهروا بالفلوجة، ثم في دمشق، أمنوا الناس ثم قتلوهم، وظهروا بالسماوة، صحراء العراق،

---

(١) الكامل في التاريخ: ٧/ ٥٢٤.
(٢) الكامل في التاريخ: ٧/ ٥٢٥.

عالم ٢٩٣هـ، وربما في هذا العام انتسب المتنبي الشاعر إلى القرامطة قبل أن يغادر إلى حلب. .

عاش القرامطة في حركات كرّ وفرّ انتصروا وانهزموا، قَتَلوا وقُتلوا، عشرات الدّعاة حققوا انتصارات متتابعة وسفكوا الدماء أنهاراً، عام (٢٩٤هـ) تعرَّضوا للحجاج، سلبوهم متاعهم، وقطعوا الرؤوس تصدَّى زكرَوَيْه بن مهروية، داعيةُ قرمط لقوافل الحج وكلما التقى جماعة «أوقع بهم وقتلهم عن آخرهم، وسبوا النساء، وقتلوا منهن»[١].

ظلت الحركة القرمطية تجوب بلاد العرب من الشام إلى العراق إلى البحرين وهجر حتى وصلوا عام (٣١٧هـ) إلى مكّة، احتلوها وقتلوا أهلها واقتلعوا الحجر الاسود وأنفذوه إلى هجر، وأخذوا كسوة الكعبة وتقاسموها، كان ذلك بقيادة زعيمهم أبي طاهر القرمطي[٢] وظل الحجر الأسود مع القرامطة ٢٢ سنة، حتى عام (٣٣٩هـ) عندما أعادوه وقالوا: «أخذناه بأمر وأعدناه بأمر»[٣].

انتهت ثورة القرامطة بعد أن عاثت فساداً في بلاد المسلمين ٦١ سنة، دمّرت، قتلت، أخربت وما استطاعت أن تقيم دولة حضارية، بل سقطت لعداوتها مع الحضارة.

(١) الكامل في التاريخ: ٧/ ٥٤٩.
(٢) الكامل في التاريخ: ٨/ ٢٠٧.
(٣) الكامل في التاريخ: ٨/ ٤٨٦.

بين فتنة القرامطة وفتن الجماعات السلفيَّة المعاصرة:

الثورات الدينيَّة المتطرفة تتلاقى في عقائدها، وأهدافها، وتصرفاتها ونتائجها... الاتجار بالدين، الاستيلاء على الحكم، جمع الأموال، السيطرة والغلبة على المجتمعات... هذه العناوين تبيح المحرمات، وتبرّر الوسائل للوصول: قتل البشر، وتدمير الحجر، واقتلاع الحضارات ومظاهرها... والنتيجة بعد حروب طويلة تقتل الفرح في العالم.. إخفاق وفشل لهذه الفتن، لأنها تقوم على استراتيجيات مخالفة للغاية من الخلق ألا وهي الحياة.. لا الموت... المحبة لا الحقد والكراهية..

القرامطة وداعش كلهم تكفيريون.. القرن الثالث الهجري ولدت ثورة القرامطة، (٢٧٨هـ)، القرن الخامس عشر ولدت ثورة التكفيريين (١٤٣٣هـ / ٢٠١١م)، أحد عشر قرناً من الزمن، وعوامل الوراثة التكفيريّة، تتحدّر حاملة جينات التعطّش للدم..

القرمطي هو نفسه الداعشي، أو التكفيري، أو التتاري والمغولي..

١ - الجنود والأنصار هم الجماعات الفقيرة، التي تلبي نداء الجهاد تطلُّعاً إلى دولة عادلة، الاغراء قديماً بالدرهم والدينار وحبات التمر... اليوم بالدولارات..

٢ - البِدع في الدين: يستغل القادة نشر البدع في المجتمع المسلم، بهدف تغيير المفاهيم الشرعيَّة...

٣ - معاداة الآخر: «كان القرامطة يرون السيف على أمَّة محمد إلاّ من بايعهم»[1] أما الجماعات التكفيرية التي نشأت لتطالب بالحريَّة، فقد تبادلت التُّهم بالتكفير وأباحت دماءها فيم بينها، وأراقتها.. وسقط في صراعها آلاف القتلى، وخاصة زعماء الوحدات، أو الأمراء، أو الخلفاء.. لقد أعملوا السيف في أمّة العرب إلا من بايعهم..

٤ - إسقاط الرموز الدينيّة: قال القرامطة: «إن الجمعة يوم الاثنين، لا يعمل فيه شيء».

وصلّى أمير داعش صلاة الجمعة يوم السبت.

٥ - الحشود البشريَّة: التف حول قرمط مئة ألف، لا أهداف لهم سوى إراقة الدماء والحصول على النساء والمال، إن جنود الجماعات التكفيرية، بلغوا مئات الآلاف، أغرقوا في إراقة الدماء، وانتهاك الاعراض وسلب الأموال...

٦ - التعامل مع الأسرى: مرة واحدة دعا الاسلا م والقرآن إلى قتل الأسرى، يوم بدر، لكن النبي ﷺ أخذ منهم الفدية... ثم وعد الله التائبين منهم مغفرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٧/ ٤٤٧.
(٢) سورة الانفال، الآية: ٧١.

لقد خالف القرامطة القرآن والاحاديث النبّوية التي توصي بالأسرى خيراً، فقتل القرامطة الأسرى وأحرقوهم، لكن التكفيريين قتلوا الأسرى بشكل همجي، وتفننوا في التعذيب، واختطفوا جماعات مسالمة، لا علاقة لها بالحرب والقتال، ثم أعدموهم كأسرى بلا محاكمات إنما تعطّشاً للدم، وقذفاً للرَّعب في قلوب المسلمين الذين لا يبايعونهم..

٧ - الوضع الحربي: عاش القرامطة بين كرٍّ وفرٍّ لمدة إحدى وستين سنة (٢٧٨هـ / ٣٣٩هـ) وتعيش التنظيمات التكفيريّة بين كر وفرّ إلى أمدٍ يشاؤه الله..

٨ - حرق المساجد والمعابد: أحرق القرامطة عام (٢٨٩هـ) مسجد الرصافة، وأتبعوا بإحراق العديد من المساجد.. أما التنظيمات التكفيرية فقد هدمت عشرات المساجد والحسينيات، والكنائس، وقبور الصالحين من المتصوفة والفقهاء والزهاد، والشعراء (أبو العلاء المعري) في معرّة النعمان، والمؤرخين (ابن الأثير) في الموصل، ضريح النبي دانيال في الموصل..

٩ - جغرافية الاحداث: تحرّكت الثورات الفتنويّة في الجغرافية نفسها، تمدّد القرامطة من العراق، إلى الشام، فالبحرين وهجر والحجاز...

وانطلقت (داعش) دولة الإسلام في العراق والشام، وعبَرتْ إلى المغرب العربي: مصر، تونس، ليبيا.. وشرّقت إلى أفغانستان وباكستان.

١٠ - فكرة المخلّص: تسمى شيخ القرامطة أحمد صاحب الشامة، بالمهدي.. وادّعى أكثر من أمير تكفيري أنه المهدي المخلّص.

١١ - المرأة: استولى القرمطي على إمرأة هاشمية وتزوّجها، ثم منحها لأربعة من قادته، ولما أنجبت طفلاً، ضاع أبوه.. قال ابن الأثير في أحداث سنة (٢٩٤هـ) «تصدى زكرويه القرمطي لقوافل الحج، وكلما رأى جماعة أوقع بهم وقتلهم عن آخرهم، وسبوا من النساء ما أرادوا، وقتلوا منهن»[١]. لكن بعض النساء القرمطيات شاركن في جهاد القتال، لا جهاد النكاح.

وشأن المرأة لدى التكفيريين وضيع، هي سلعة للبيع، عرضوا مئات للبيع «بثمن بخس» واخترعوا جهاد المناكحة إذ قد يجتمع العشر على المرأة الواحدة على غرار (الكلاب). وبعض النساء شاركن في القتال، حملن البنادق وقاتلن وقُتِلْنَ، وقتل التكفيريون في العراق أكثر من ١٥٠ إمرأة مرة واحدة، لأنهن رفضن المشاركة في جهاد النكاح، ومنهن حوامل ومحصنات.

١٢ - الولد يتبرّأ من والديه (فقه الولاء والبراء): استطاع القرامطة، في عمليات غسل الأدمغة، أن يحملوا الأولاد على التبرؤ من الوالدين المعارضين للقرمطية.. إن حكايات الخصامات بين الوالدين والابناء والأخوة هي أقرب إلى حكايات الأساطير لدى

(١) الكامل: ٧/٥٤٨.

التنظيمات الإسلاميَّة أب يقتل أبناءه، واولاد يقتلون آباء وأمهات في خصامات مؤيدة أو معارضة لتنظيمات التكفيريين. . . مع أن القرآن الكريم أوصى بالوالدين إحساناً، ولو اختلفوا بالعقيدة.

١٣ - انتهاك حرمة مكّة: مكّة المكرمة، الحرم الآمن، الذي يحرم فيه القتال، ما أبيخ إلا ساعة من نهار ليدخلها النبي محمد ﷺ فاتحاً عام (٨هـ) دخلها والسيوف مغمدة، لم يُرق فيها قطرة دم.

ظهر بين المسلمين من أباح المدينة ومكة إذ أمر يزيد بن معاوية بضرب الكعبة بالمجانيق وهدمها عام (٦٣هـ). . هو خليفة المسلمين هدم كعبتهم وظل خليفة المسلمين. . . ثم تلاه عبد الملك بن مروان أمر بضرب الكعبة عام ٧٣هـ ليقتل عبد الله بن الزبير. . وظل خليفة المسلمين بعد ذلك حتى وفاته عام (٨٦هـ).

الكعبة والقرامطة: عام ٣١٨هـ، دخلوا مكّة، فقتلوا أهلها، إلا من بايعهم، ونزعوا الحجر الأسود، ونقلوه إلى هجر، ثم إلى الكوفة. وظل معهم ٢٢ عاماً حتى عام (٣٣٩هـ) ولما أعادوه قالوا: أخذناه بأمر، وأعدناه بأمر»[١].

لقد نشر الإسلاميون - التكفيريون عشرات التغريدات، والتصريحات التي تهدد بإحتلال مكة وهدم الكعبة لمنع عبادة الحجر. .

لقد تجاهلت هذه الجماعات، الثائرة باسم الإسلام، تعاليم

(١) الكامل في التاريخ: ٧/ ٥٤٩.

القرآن الكريم وأوامره في حرمة مكة والحرم الآمن والبيت والطواف ومشاعر الحج. . تجاوزوا كل المقدّسات، ويصرّون على قتل الإنسان الذي يخالفهم الرأي ولا ينضوي تحت لوائهم المخالف لحقيقة الإسلام.

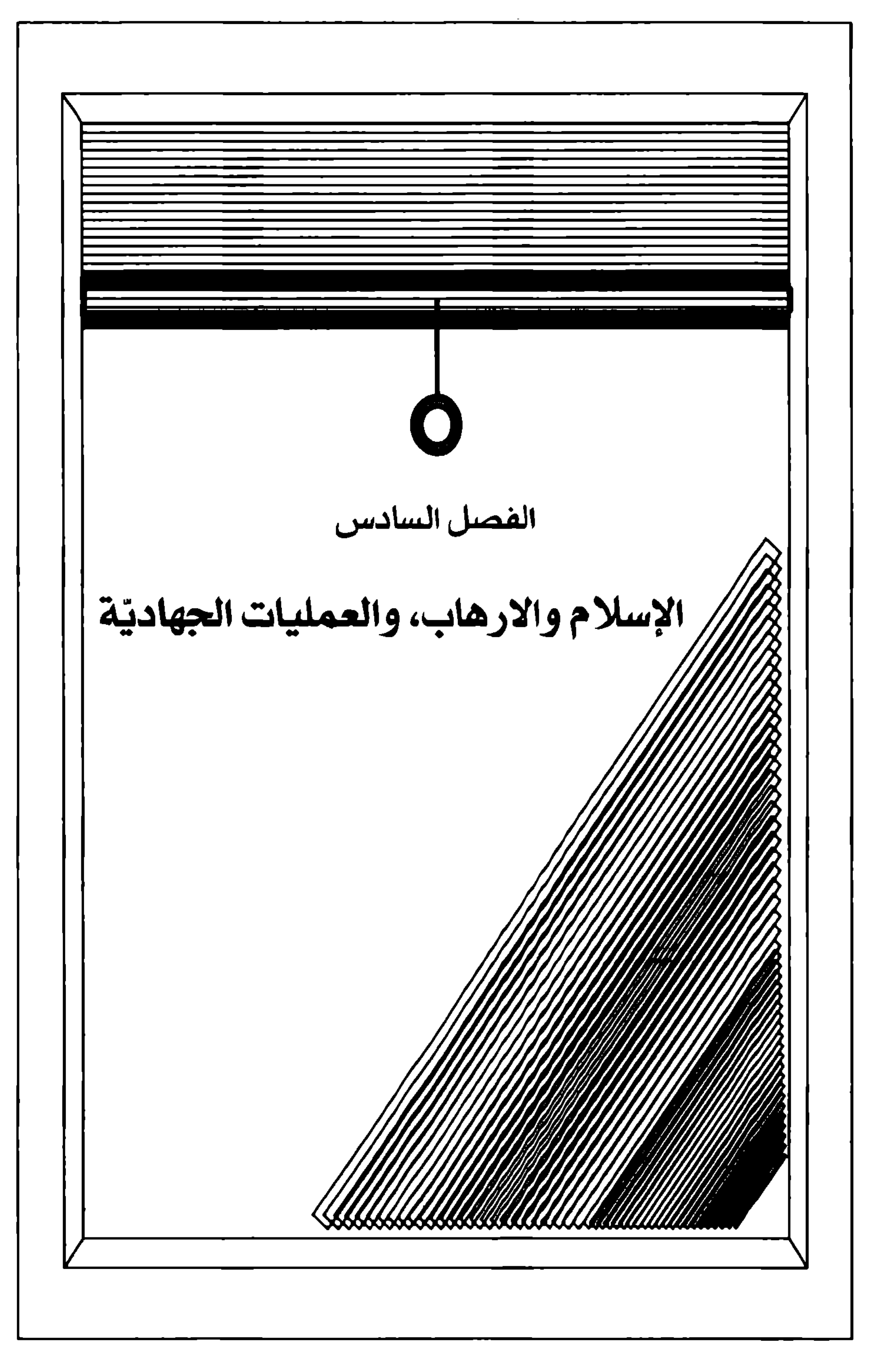
١٤ - الاعتداء على الحضارة: التوحُّش الهمجي، نزّلت الأديان تدعو إلى عبادة الإله الواحد، وتشرِّع للحياة المثلى على الأرض «ولقد عمروها أكثر مما عمروها».

تمادى القراطة في عمليات الابادة والتدمير. . لقد قتلوا الرجال والنساء وصبيان المدارس (أولاد الكتّاب) أي تلامذة المدارس، ما أنشأ القرامطة قرية أو مدينة بل هدموا معالم الحضارة إن التنظيمات الإسلامية، المتحمّسة للاسلام الغلط، في سورية والعراق. أرسلوا لأطفال المدارس هدايا سيارات (مفخخة) مشحونة بالمواد المتفجرة، مشحونة بالموت، قتلوهم بلا رحمة، وما تفجير حمص أمام مدرسة في تشرين أول عام ٢٠١٤ إلا دليل على فكرة إبادة الأطفال، وهم في مدارسهم. . إن ظاهرة هدم المظاهر الحضارية والآثار القديمة، مارسها التتار والمغول. .

لقد هدم الوهابيون أضرحة البقيع، وهدموا ضريح الإمام الحسين عام (١٨٠٢)، ثم تجرؤوا وهدموا قبر النبي محمد ﷺ، لكن بريطانيا نصحتهم يومها بإعادة البناء، وإلا رفضهم المسلمون، وهذه داعش قد هدمت الاضرحة، والمساجد، والقصور والقلاع، وكل مظاهر الحضارات القديمة. . . بما فيها المتاحف، وتراث الماضي.

هذا التشابه بين الماضي والحاضر، في الاحداث لا يثير العجب، لكن المأساة تكون إذا تساوت الحقبة الزمنية، لقد استمرت فتنة القرامطة، إحدى وستين سنة، هذه المدة مع الاسلحة الحديثة كفيلة بترك الدول العربية يبابا، ونقول: وداعا يا إسلام.





الفصل السادس

الإسلام والارهاب، والعمليات الجهاديّة

الإسلام والارهاب

مفهوم الارهاب

الإرهاب مفردة استخدمها القرآن الكريم بمعنى:

أ - الإخافة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(١).

ب - الخشية: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾(٢). أي للذين يَخْشون ربَّهم.

وَظَّف الأعداءُ الآية في اتهام الإسلام بالارهاب (آية الإخافة) فسَّروها باعداد الارهاب، تزويراً لمعاني القرآن الكريم.. ظهرت في القرن العشرين عمليات انتقاميّة وثأريّة تجاوزت الافراد والقبائل إلى الثأر من الدول المستعمرة، والمحتلّة لأراضي الشعوب الآمنة..

بدأت الأعمال إعلاميَّة ثم تحوَّلت إلى جهاديَّة، فصنَّف الاستعمار هذه الاعمال في خانة الارهاب.. وأعلن حرباً ضد

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.

الجماعات والدول التي تساند هذه الأحداث. . عقدوا المؤتمرات، وألزموا الدول الإسلاميَّة والعربيَّة خاصّة، على استنكار الأعمال الجهاديَّة لأنها إرهابية في مصالحهم ومفاهيمهم الغلط. .

رفع الغرب شعار التصدِّي للارهاب على أنه من أولويات الحضارة في عصرنا. . لكنه واجه هذه الأعمال بالغزو العسكري في أفغانستان، وباكستان (جزئياً) والعراق. . حشد أسلحته المدمّرة لحرب هذه الدول الضَّعيفة، وهي ليست إرهابيّة، إنما ظهرت فيها بعض مجموعات إرهابيّة. . لقد قتلت الجيوش الحضارية المتحالفة عشرات الآلاف من الأطفال والنساء في أفغانستان، ومات بعضهم جوعاً بسبب الحصار العسكري. . قتلوا آلاف الاطفال بدعوى القضاء على الارهاب، والحكومات الإسلامية والعربيَّة تصفّق لهم. . . إحتماء بهم من شعوبها. .

عشرات السنين مرَّت، ولا تزال الحروب الاستنزافيَّة للبشر، والأرض والاقتصاد مستمرّة باسم محاربة الارهاب إن معظم الأراضي الافغانية تحوَّلت إلى مدافن، أو إلى رماد، لا تصلح للزراعة ولو بعد أجيال. . كما حوّلت الحرب المدمّرة جزءاً من الشعب الأفغاني إلى مجموعات إرهابيَّة تقتل المواطن البريء، مثلما تقتل المحتل.

هذا المستعمر الارهابي الفعّال في قتله للانسان البريء صاحب الوطن، وفَدَ من أقاصي الأرض ليمارس أبشع أنواع الارهاب ليقتل الفرح والامان في الإنسان والشجر، وذرات التراب. .

- معاناة عبّر عنها شاعر عربي:

قَتْلُ امريءٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تُغْتَفَرْ
وقتلُ شعبٍ آمنٍ قضيَّةٌ فيْها نظر

ما هو مفهوم (ترهبون) في الآية القرآنيّة؟

أجمع المفسِّرون على أن معنى «تُرهبون»: «تخوِّفون» الأعداء ردعاً لهم بلا قتال، وليس المقصود أن يَخْلُق جوَّ الرُّعب لدى الآمنين. «تشرِّع قانوناً ردعياً للإرهاب بلا قتال» وهذا المفهوم أرقى من قوانين الغرب الحضاريّة والثقافية.. والعسكريّة لمواجهة الاعتداء إرهاباً على الآخرين.. إن الدولة القويَّة تحمي نفسها من الأعداء، القوي يخاف القوي ولا يبادر إلى مخاصمته، ومهاجمته وقتاله... لأنه يخشى ما يتمتّع به الخصم من قوَّة..

وضع الإسلام دستوراً لردع الارهاب بلا قتال، التلويح بالقوَّة في وجه العدو أي «هزّ العصا» وليس منازلته، إنما الاستعداد لدفع العدوان إذا وقع..

إن مشركي قريش قتلوا بعض المسلمين في مكّة (آل ياسر). وهجّروا بعضهم إلى الحبشة، ثم هجّروا النبي إلى الطائف ثم إلى المدينة؛ لأنهم كانوا أقوياء، وكان المسلمون ضعفاء، وما رهبوا جانب النبي إلا بعد فتح مكّة حيث دخل ومعه أكثر من عشرة آلاف مسلم، لكنه دخلها سِلْماً، لأنه أعدَّ ما يرهب به مشركي قريش

وأتباعهم. . ما كان محمد إرهابياً، لأنه ما قتل أهل مكّة الذين حاربوه وهجّروه عندما كان ضعيفاً؛ ولمّا أتاهم قويّاً قال لهم: ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: أخ كريم، وابنُ أخٍ كريم. قال: إذهبوا، فأنتم الطلقاء. . وأمَّنهم: «من دخل داره فهو آمن». . حسم المعركة سلمياً، بعدما أخافهم بقوته العسكرية التي لم تجد قوّة تقابلها. . وكان الناس يظنون أن معركة مكّة ستكون دامية فيها إنتهاك للحرم الآمن. .

ما كانت أميركا لتغزو أفغانستان والعراق. . وغيرهما لو عرفت أن هذه الدول أعدَّت قوّة ترهب بها المستعمر. .

شكّلت الآية دستوراً إلهيا يهدف إلى إخماد الحركات الارهابية، الاعتدائيَّة، بلا قتال وبلا سفك دماء. . إن الذئب المفترس الذي يهاجم قطعان الماشية والغزلان. . . ما تجرأ مرّة واحدة على مهاجمة الأسود. .

عندما عزمت أميركا عام **٢٠١٣**م على غزو سورية لمحاربة إرهاب هذه الدولة، حسب زعم أميركا، الحمل الوديع، المستذئب والمستأسد، والمصاب بداء الكلب. . . ضد الشعوب الآمنة الضعيفة، لقيت أميركا وحلفاؤها تهديداً من سورية وحلفائها، وقد أعدّوا قوَّة يرهبون بها أعداء الله وأعداءهم. . فتراجعت عن حماقاتها، جُبناً وخوفاً. . وجنّبت المنطقة حرباً مدمِّرة. . لكنها ظلّت تمارس الارهاب المستقوي، المبرَّر بالترسانة الحربية. . ضد الناس

الآمنين في أوطانهم.. ألا تخجل أميركا أن تجتاز آلاف الفراسخ لتغزو الشعوب الإسلاميّة في بلادهم بادعاء أنها تريد محاربة الارهاب.

عندما أعدَّت روسيا في النّصف الثاني للقرن العشرين عدتها للولايات المتحدة، امتنعت الأخيرة عن مهاجمة روسيا وكادت أن ترتكب حماقاتها لولا خوفها من قوّة روسيا، واكتفت بإشعال الحرب الباردة، وظلّت باردة، لأن ميزان القوى كان متعادلاً تقريباً..

بعد الإعداد إذا كان العدو عاقلاً يجنح إلى السلم خوفاً من نتائج الحرب المتعادلة القوى. فشرَّع القرآن السلام «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها».. وتكون الغاية قد تحقّقت من الإعداد.



الولايات المتحدة الاميركيّة، دولة الارهاب

هي الدولة الإرهابيَّة الأولى في العالم؛ لأنها بدأت حياتها السياسيّة الخارجية بدخول الحرب العالميَّة الثانية **١٩٣٩** ثم ارتكبت أبشع عمليّة إرهابيَّة في تاريخ الإنسان، هي الدولة الوحيدة في العالم نفّذت عملاً إرهابياً، ما فعله أحد قبلها ولا بعدها؛ عندما استخدمت السلاح النووي، سلاح الدمار الشامل ضد هيروشيما ونكازاكي في اليابان، وقتلت أكثر من مليون طفل وإمرأة ورجل، وقتلت أكثر من مئة ألف حيوان أليف، نفقوا بعهر أميركي، وأخربت الحضارة في المدينتين، وأحرقت الشجر والمدر، وما عادت التربة هناك تصلح للحياة.

إذا كانت المحرقة (الهولوكوست) التي أقامتها النازية ضد اليهود في المانيا، وذهب ضحيتها مئات فقط وربما بضع آلاف لا تزال تلاحق ضمير العالم المنافق، لماذا نسي هذا الضمير مليون إنسان ماتوا معاً: حرقاً وخنقاً وتعذيباً، خلال دقائق. . لأن الدولة التي نفذت إرهابها اللامسبوق هي المنتصرة والأقوى لا تُحاسبُ على ما تفعل والتي نفذت المحرقة هي الدولة المنهزمة والأضعف. . .

هل تُحاسب على ما فعلت من صواب أو خطأ..

مجزرة إرهابيَّة شهدها التاريخ مرّة واحدة في ٦ آب ١٩٤٥، نفّذتها الولايات المتحدة ضد الإنسانيّة.. ولا تزال هذه الدولة تطارد الدو ل والأفراد الذين خرجوا عن طاعتها، ترفع شعار الديموقراطية، كما تفهمه، وتحطم ديموقراطية الآخرين، وخاصة الضُّعفاء.. هي تقتل المعارضين لسياساتها، تقتلهم بحروب معلنة: فيتنام، أفغانستان، العراق.. وتقتلتهم تجويعاً، أو اغتيالاً، أو بإثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد..

هي أم الارهاب وأبوه وترمي به الآخرين زوراً.. وتحشد إعلامها، وأصدقاءها لمساعدتها على الارهاب والتكفير، قد وزّعت أساطيلها وجنودها في شرق الأرض وغرْبها.. تهاجم الناس في أوطانهم وتقتلهم في منازلهم وتدَّعي بوقاحة لئيمة أنها تحافظ على الحريّات..

لقد أعلنت أكثر من مرَّة أنها تريد إحياء الحروب الصليبية ضد الشرق والاسلا م.. متهمة هذه البلاد بالتكفير والارهاب. مع أنها تصنع الجماعات التكفيرية والارهابية وتضخها في مجتمعاتنا، وتتخذهم ذرائع لمحاربتنا هي عاهر كانت بالزنا أمَّ الارهاب وأباه..

الزمن كفيل باسقاط الطغاة ومحاسبتهم.

هل تنتهي الحركات التكفيريّة؟

ما دام في الكون مُسْلمان اثنان، سيظل التكفير قائماً. كانت الدنيا كلها لاثنين هما إبنا نبي، فقتل قايين هابيل، وظل وحيداً..

الحركات التكفيرية قديمة في التاريخ بدأت بين الانبياء والشعوب. لقد كفّر بنو اسرائيل أنبياءهم وقتلوا لهذه التهمة، أكثر من مئة ألف نبي... واتَّهموا السيد المسيح عَلَيْتَلِيْر بأنه يدَّعي النبوة وكفّروه وحكموا عليه بالصَّلب...

في أوروبا قامت حروب دينيّة تكفيرية بين الكاثوليك والبروتستانت، واستمرت عشرات السنين، وقتلت مئات الألوف من البشر..

هو الإنسان يحب القتل والسيطرة، ويبرر أعماله بالتكفير، والخيانة والدفاع عن المصالح الوطنيَّة...

في العالم الإسلامي - العربي، بدأت مع وفاة النبي، ولن تنتهي.. هي تخفت حينا وتتراجع عندما يكون الحاكم قوياً، فارضاً للسلطة؛ فتخشاه الجماعات الخارجة - التكفيريّة وقد تكون تلك الثورات محقة، لأنها تطالب بالعدالة..

تتلاشى الحركات التكفيرية في المجتمعات المتطوِّرة حضارياً،

أي ترتبط بثقافة المجتمع، الذي يحاسب الشُذّاذ والخارجين على القانون، وقد يتحوّلون إلى إرهابيين يعمدون إلى تخريب المجتمع، وتدمير الانتاج الاعماري، والاقتصادي، فيتصدّى لهم المجتمع المتضامن مع وطنه وحضارته. .



العمليات الجهاديّة

إلى جانب الإعداد هناك المقاومة للعدو وتسلك طرقاً متعددة، المواجهات العسكرية والعمليات الجهادية، والعمليات الاستشهادية . .

إن الشعوب الضَّعيفة، المغلوبة على أمرها من مستعمر ظالم وقوي . . . تعيش القهر المذِل . . لا بُدّ لها من نهوض، طلباً للحريّة والثأر . . اشتعلت في العالم ثورات، تهدف لاستعادة الكرامة، مستخدمة أسلحة من موجودات العصر والبيئة . . في القرن العشرين بدأت تظهر عمليات جهاديَّة تحوّل الاجساد إلى سلاح انتقامي . . يموت ويعطي الموت للأعداء . . أخذت هذه الأعمال الانتقاميَّة جملة أسماء، نابعة من النيَّة، والهدف والنتيجة:

١ - استشهاديّة.

٢ - جهاديَّة.

٣ - انتحاريَّة، إرهابيَّة.

أولاً: العمليات الاستشهاديّة: منفذها شهيد، لأنه مدافع لا معتدٍ . . عمله مدروس وشرعي؛ فهو محصور في قتل العدو لا يتسبَّب بقتل الأبرياء . . وتتوجه عمليته ضد عدو محتل عادة، وطاغية،

ومفسد في الأرض، وغالباً هو كافر وعسكري. هي استشهاديّة لأن صاحبها يؤمن بالجنة والنار.

الاستشهادي إنسان يذهب إلى الموت برضاه؛ بعدما يتلقى ثقافة الشهادة، ويقرأ فقه الجهاد، ويؤمن بالثواب، إيماناً لا لبس فيه. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(١).

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾(٢).

النمط اللبناني: اعتمدت المقاومة الإسلامية في لبنان نمط التفجير، تُجهِّزُ المريدَ بالمتفجِّرات، مزنَّراً بها، أو معبَّاة في سيارة (مفخَّخة). هذه العمليات تلجأ إليها المجموعات النِّضالية المؤمنة بالدفاع عن قضيّة دينيّة أو وطنيّة، ضد جيش قوي، غازٍ ومحتل، لا تستطيع أن تواجهه لتفوقه العسكري.. بدأت العمليات الاستشهادية في لبنان ضد العدو الصهيوني، لأنه يمتلك أسلحة متفوِّقة في الجو والبر والبحر، وقد احتلّ جزءاً من لبنان، وتخاذلت الدولة في مواجهته، بل تعاون معه فريق من اللبنانيين، وساندوه في الاحتلال استقواء به على أبناء وطنهم العروبيين والمسلمين.. ولما تشكلت المقاومة الإسلاميَّة، اعتمدت فيما اعتمدت العمليات الاستشهادية، بحيث أرعبت العدو الذي كان يرعب اللبنانيين بطائراته وصواريخه، وقذائفه العنقودية.. كانت أجساد الشباب العاشق للشهادة تمزق

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) سورة الحديد: الآية: ١٩.

آليات العدو وأجساد جنوده. . . مما أسهم في تحرير لبنان من الاحتلال الصهيوني عام ٢٠٠٠م. لم تقتصر العمليات ضد الجيش الاسرائيلي بل تعدّته إلى المارينز، والمظليين الفرنسيين في بيروت. «في الساعة السادسة من صباح يوم الأحد **٢٣** تشرين الأول **١٩٨٣** عندما اقتحم أحد المتطوّعين للشهادة وهو يقود شاحنة تحمل قرابة **٢٠٠** كلغ من مادة شديدة الانفجار. مركز قيادة المشاة البحريّة (المارينز) المرابطة في مطار بيروت الدولي، ونتج عن الانفجار تدمير المبنى بكامله، وقتل قرابة **٢٧٥** جندياً أميركياً وهو رقم لا تخسره أميركا إلا في حروب، ومواجهة جيوش لدول كبرى. . . وفي الوقت نفسه اقتحم استشهادي آخر مركز الفرقة المظليَّة الفرنسية المرابطة في بيروت، وأسفرت العملية عن مقتل **٦٠** مظلياً، وجرح أكثر من مئتين. ثم تبعتهما عملية ثالثة دمّرت مركز القيادة الاسرائيلية في صور، وخلّفت مئة قتيل وضعف هذا العدد من الجرحى. .

هذه العمليات أرهبت العالم، وأطلق عليها الأعداء: عمليات إرهابية انتحاريّة. . بينما هي عمليات استشهاديَّة، لأنها قتلت جنود الأعداء المحتلِّين، ولم تقتل النساء والأطفال، كانت شجاعة رصدت الهدف وضربته. .

العمليات الجهاديَّة:

ينفذها العنصر دفاعاً عن قضايا محقَّة: وطنيَّة، عقائديَّة، أو دفاعاً عن قضية إنسانية. . لا تتحول إلى استشهاديَّة؛ لأن منفذها قد لا

يؤمن بجنّة أو نار.. في عقيدته الدفاع عن وطنه واجب قومي، يرقى به إلى مرتبة الأبطال... هو بطل لا شهيد.. بعضهم لا يؤمن بوجود الخالق، أو قد يكون من أتباع الاديان الوضعيَّة، أو المشركة.. لا يؤمن بالمعاد، أو الحساب...

عادة هذا النوع من القتلى، يظل حياً في تاريخ أمَّته، ويتخذ صفة الأبطال.

العمليات الانتحارية: هي إرهابية تكفيريَّة:

وقد حرَّم الله الانتحار، لأنه قتل النّفس بلا ثمن، بل شراء جهنم..

الانتحاريَّة عمليات عبثيّة، تهدف إلى قتل الإنسان: حقداً وكراهية ناتجة عن معتقد خاطىء غير مبرّرة: لا دينيّاً ولا وطنياً..

هي وليدة ثقافة منحرفة لا تقتل العدو المحتل... إنما تستهدف الشريك المسالم في الوطن.. لاختلافات مذهبيَّة وطائفيَّة، وعرقيَّة، تقوم على تشريعات خاطئة، وفتاوى مزوّرة، تصدر عن رجال دين مزوّرين، ما بلغوا مرحلة العلم التشريعي، ولا تحرروا من الحقد الذي ران على قلوبهم، فبدَّلوا كلام الله وكلام رسوله.. إن العمليات التي ينفذها التكفيريون ضد جماعات الأبرياء في الأفراح، والأحزان، وأمكنة العمل.. هي انتحاريّة، يحترق منفذها بنار البارود في الدنيا قبل نار الآخرة.. وهي عمليات جبانة ومُدانة لأنها تقتل الجماعات المسالمة وخاصّة الاطفال والنساء.. لأن الشُّجاع يواجه المقاتلين، ولا يعتدي على الأبرياء.

مأساة الإسلام أن هذه الجماعات التكفيرية والانتحاريَّة ما ظهرت إلا بين المسلمين، ووصمت ديننا بالارهاب، وهم جماعات سلفيَّة تعتمد الفكر الوهّابي الذي يجيز تكفير المسلمين من شيعة وسنّة أي كل المسلمين الذين لا يدينون بمذهبهم.

وطالت أعمالهم المساجد والحسينيات والكنائس. مع أن القرآن الكريم قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾[1].. وهم يخربون مساجد الله إمعاناً في الكفر والتكفير..

لقد اعتدوا على الله عندما اعتدوا على بيوته، وعلى عباده المسالمين..

بدأت العمليات الاستشهادية في لبنان ضد الغزاة من القوات المتعددة الجنسيات التي احتلت بيروت، مساندة للعدو الصهيوني وحلفائه اللبنانيين، وأدّت مع عمليات المقاومة اليومية إلى تحرير لبنان عام ٢٠٠٠م.

هذه العمليات أخذها التكفيريون ممن كانوا مسلمين وانحرفوا، ونفذوها ضد الآمنين من الناس في العراق وسوريا ولبنان ومصر وليبيا واليمن.. معتمدين إثارة الفتن الطائفية والمذهبية، مما أوقع عشرات الآلاف من القتلى، وكل فريق مفتون يُسمّي قتلاه شهداء والواقع غير ذلك، فالنبي حسم أمر قتلى الفتن «في الفتنة القاتل والمقتول في النار، إذ كل واحد منهم حريص على قتل الآخر».

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.



الفصل السابع

الاجتهادات والفتاوى

آية السيف - إجتهادات فقهيَّة

لم ترد مفردة السيف في القرآن الكريم قطّ، ولما كان السيف هو أداة القتل زمن النزول، فعُدَّت الآية الآتية، من سورة التوبة، آية السيف، ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[(١)] أي فضعوا السيفَ فيهم..

لم تبدأ سورة التوبة بالبسملة مخالفة استهلال ماية وثلاث عشرة سورة «لأنَّ بسم الله للأمان والرحمة» و«نزلت براءة لرفع الأمان بالسيف» عن الإمام علي عليه السلام [(٢)]. وقال المفسرون: هذه الآية ناسخة لكل آية وردت في الصلح والجنوح للسلم. مع أن الآيات التي تتلوها تقول بالبقاء على العهود ما لم يظهر المشركون الغدر والخيانة وما داموا على الاستقامة.. نزلت السورة في المشركين الذين عاهدوا النبي ثم نقضوا العهد.

تكملة الآية: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥.
(٢) تفسير سورة التوبة: مجمع البيان، التفسير الكبير، للرازي، تفسير الجلالين.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(١)].

لقد اعتمد أبو بكر هذه الآية، عندما حارب أهل الردَّة، وقال لعمر لمّا نهاه عن قتال المسلمين، ما داموا على إسلامهم يقيمون الصلاة، قال: «لا أفرّق بين ما جمع الله: التوبة والصلاة والزكاة، لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه، لأن منع الإمام الزكاةَ كفر»[(٢)].

اعتمد الشافعي هذه الآية لتكفير تارك الصلاة والحكم عليه بالقتل. قال: بعدما أباح تعالى دماء الكفار مطلقاً بجميع الطرق. ثم حرَّمها عند مجموع هذه الثلاثة: التوبة عن الكفر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. فعندما لم يوجد هذا المجموع، وجب أن يبقى إباحة الدم على الأصل»[(٣)].

اعتمد التكفيريون هذه الآية على مر العصور الإسلامية، لمحاربة المسلمين وإباحة الدم على الأصل.. فارتكبوا المجازر، يقتلون بـ (لا إله إلا الله) ويذبحون بـ (الله أكبر).

مع أن الآيات أمرت بإخلاء سبيلهم إن تابوا، أو استقاموا وحرَّمت القتال في الأشهر الحرم، وهم حللوه في الأشهر الحُرم ونسيئها..

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٢) الرازي: التفسير الكبير، سورة التوبة، الآية: ٢٢٦.

(٣) المصدر نفسه: الآية: ٢٢٥.

الفتاوى

دعا الخالق إلى التفقه في أمور الدين: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] يعودون إلى أوطانهم فقهاء لإرساء قواعد الحق، وتدعوهم الآية جميعاً إلى الحذر من الآثام، المتلقي للفتوى، والمُرسِل لها، الأول ينفّذ والثاني لا يُزوّر أحكام الله بإجتهاداته الغلط، أو الناتجة عن الميل والهوى.

تشكّلت مدارس فقهيّة في أنحاء العالم الإسلامي: المدينة المنورة، بغداد، دمشق، بخارى. . . واشتهرت جامعات: فاس، المغرب العربي، الأزهر في القاهرة، النجف في العراق، وقم في إيران. . اختلفت آراء الفقهاء في القضايا المعروضة، وتباينت الأحكام، لا بأس إن ظلّت أو انحصرت في العبادات، لكن الخلاف يصبح مأساوياً عندما يرتبط بالعقيدة والتكفير وتشريع القتل والتدمير. . . هذه الأحكام التكفيرية أنهكت الإسلام وقدمته ديناً إرهابياً ومتخلّفاً. . العائدون من التفقه، على درجات من التحصيل العلمي، يصدرون يومياً على امتداد العالم الإسلامي أكثر من عشرة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

آلاف فتوى بين حلال وحرام، الاتباع يسألون وهم يجيبون: هذا حلال، هذا حرام..

لقد احتاج الحكام، على ظلمهم، إلى فتاوى فقهيّة تبرّر الاعمال الانتقامية ضد المواطنين المتحرِّرين (المعارضين) هي فتاوى فقهيَّة عند المسلمين، ومواد قانونية جزائية أو دستوريَّة، لدى الأباطرة والملوك غير المسلمين.. هذا يخالف الشرع وذاك يخالف القانون..

استند خلفاء النبي محمد ﷺ إلى فتاوى لمحاربة المسلمين المخالفين، وكانت العناوين كبيرة لأنها تطال الجماعات لا الأفراد، لقد تعدّدت المصطلحات: المرتدون (حروب الردَّة)، الناكثون، القاسطون، الخوارج، الزنادقة.. تحت هذه العناوين وقعت حروب بين المسلمين أنفسهم مع الزمن، انتهت محطات هذه المصطلحات، ما عادت الردّة الجماعيَّة موجودة، بل اقتصرت الحركة على أفراد، وإنزال الحكم بالمرتد هو حكم فردي، يقرره القاضي، ولا يتطلب حرباً ضد جماعة.. ونجمت ظاهرة التكفير، الحركة الفوضويَّة التي لا تعتمد منهجاً فقهياً، إنما تسلك غوغائية اعتباطية، لا تصدر عن فقهاء إنّما عن جماعات جاهلة تدَّعي المعرفة تدرَّأ السلاطين بالتهم: الزندقة، التكفير، التمرُّد.. لقتل المعارضين، بتهمة الزندقة قتل المنصور العباسي الكاتب عبد الله بن المقفع عام ١٤٢هـ / ٧٥٩م.

يَعْسُر تتبُّع حركة الاصدارات الفقهيّة التي أدّت إلى قتل ملايين المسلمين، قتلهم السلاطين بفتاوى الفقهاء.. الذين اعتمدوا فتاوى

أئمة المذاهب: أبي حنيفة، ومالك بن أنس، والشافعي، وابن حنبل، والأوزاعي.. وأتت على نوعين:

أ - أحكام ضد تصرفات الأفراد، ونفّذت على مدى التاريخ الإسلامي.. وطالت أحياناً أشخاصاً مشهورين من أصحاب مذاهب أو متصوِّفة، أو فقهاء لهم آراؤهم في قضايا خلافيَّة.. لقد أفتى الأوزاعي المتسامح بقتل غيلان الدمشقي القدري، فصُلب على باب كيسان بدمشق، حوالي عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م.

وأفتى الفقهاء وبعضهم مشهور بالتسامح، بقتل الحسين بن الحلاج (٣٠٩هـ / ٩٢٢م) المتصوف الحلولي.

وقد أفتى علماء حلب بقتل شهاب الدين السُّهْرَوردي، يحيى بن حبش عام (٥٨٧هـ / ١١٩١م)، صاحب كتب: التلويحات، وهياكل النور، ومقامات الصوفية، وحكمة الاشراق، والمعارج، وأربعون إسماً من أسماء الله الحسنى، وخواصها..

كل هذه المؤلفات، لم تشفع له، بل قتلوه خنقاً في قلعة حلب بأمر السلطان غازي أرتق بتهمة انحلال العقيدة..

وقتل المماليك الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني عام (٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) لا تهمة ضده سوى أنه فقيه إمامي..

وقتل الأتراك الشهيد الثاني زين الدين الجبعي الفقيه الإمامي.. وقتل حاكم العراق الشهيد الثالث محمد باقر الصدر عام ١٩٧٩م أعرض أحكاماً من كتاب الفتاوى الحامديّة، لحامد العمادي الحنفي،

(م ١١٧١هـ / ١٧٥٨م). وقد نقحها محمد أمين بن عابدين الدمشقي الحنفي (م ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م). هذا الكتاب وضعه مؤلفه ليكون دستوراً لقضاة الامبراطورية العثمانية، وقد استقى أحكامه من أئمة المذاهب الأربعة ومشايخ الإسلام..

تحدَّث فيه عن أحكام العبادات والمعاملات.. والردَّة والتكفير.. (باب الردَّة والتعزير»[1].

(سُئل) هل تقع الفرقة بنفس الردّة، والعياذ بالله تعالى، أم لا بدّ من قضاء القاضي؟ [أي الطلاق].

(الجواب): تقع الفرقة بنفس الردّة، لأن الردّة تبطل عصمة النكاح.. وردّةُ الرجل تبطل عصمة نفسه، حتى لو قتله القاتل بغير أمر القاضي، أو بغير أمر السلطان لا شيء عليه..

لقد أبطلت الفتوى أول بند من بنود المحاكمات الإسلامية وهي محاكمة المتهم بالردَّة.. وفوَّض المشرِّع قتله إلى أي إنسان مسلم..

أسباب الكفر في الحامديَّة:

١ - من شتم فم المؤمن (أي قال له: لعن الله فمك» يكفر عند جميع العلماء؛ لأن فم المؤمن موضع الايمان والقرآن..

٢ - «مسلم قال: أنا ملحد يكفر؛ لأن الملحد كافر».

٣ - سئل في رجل مسلم تكلم بكلمة الكفر. الجواب: يؤمر

---

(١) الفتاوى الحامديّة: ١/ ٩٢.

بالتوبة، والرجوع عن ذلك. وإذا أبى جزاؤه القتل. .[1].

٤ - (سُئل) في رجل عامِّي شتم رجلين من علماء دين الإسلام، وحقّرهما، واستخفّ بهما وبالدين، يُقتل؟ (الجواب): نعم.

٥ - إذا نظر إنسان إلى عالم نظرة إهانة، أو ذكره بما يوجب الاهانة، يكفر. .

٦ - لا يجوز للجاهل أن يجلس بين العلماء والمتعلمين، وعلى السلطان أو القاضي أن يمنعه، لأن هذا استخفاف أو إهانة، إذا كان الجلوس على وجه الاستخفاف طلقت إمرأته، وإن كان على سبيل المزاح، يُعَزّر بالجلد، وإن كان على وجه الاهانة: يكفر.

أقول: لماذا لا يكون على وجه الافادة والتعلُّم. .

إن جميع هذه الاسباب غير واردة في القرآن الكريم، على أنها من أسباب الكفر. . .



(١) الفتاوى الحامدية: ١/ ٩٢ _ ٩٣.

حكم الروافض (الشيعة)

سؤال إلى شيخ الإسلام عام ١١٤٦هـ (هو شيخ الخلافة العثمانية) وجهه إليه صاحب الفتاوى الحامديّة في لقاء جمعهما بعد عودة من زيارة المدينة المنوّرة.

«ما قولكم دام فضلكم ورضي الله عنكم. ونفع المسلمين بعلومكم، في سبب وجوب مقاتلة الروافض، وجواز قتلهم؟ هو البغي على السلطان أو الكفر؟ وإذا قلتم بالثاني، فما سبب كفرهم؟ وإذا أثبتُّم سبب كفرهم فهل تُقبل توبتُهم وإسلامهم كالمرتدّ، أو لا تقبل... بل لا بُدَّ من قتلهم؟ وهل يقتلون حدّاً أو كفراً. وهل يجوز تركهم على ما هم عليه بإعطاء الجزية، أو بالأمان الموقّت، أو بالأمان المؤبّد، أم: لا وهل يجوز استرقاق نسائهم وذراريهم؟ افتونا مأجورين، أثابكم الله تعالى الجنّة»[١].

هو يعطيه الجنّة ثواباً على فتواه بقتل الشيعة!! كيف لو قتلهم بيده؟ له الجنة والقصور والحور والطعام مع النبي صبحاً ومساء..

جواب: إعلم أسعدك الله أنّ هؤلاء الكفرة، والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر، والبغي، والعناد، وأنواع الفسق،

(١) الفتاوى الحامدية: ١/ ٩٤.

والزندقة، والالحاد. ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم، وجواز قتلهم، فهو كافر مثلهم.

وسبب وجوب مقاتلتهم، وجواز قتلهم: البغي والكفر معاً،

أ - أما البغي فإنهم خرجوا عن طاعة الإمام خلد الله تعالى ملكه إلى يوم القيامة. وقد قال الله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، والأمر للوجوب؛ فينبغي للمسلمين إذا دعاهم الإمام إلى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين أن لا يتأخّروا عنه بل يجب عليهم أن يعينوه، ويقاتلوهم معه.

ب - وأما الكفر، فمن وجوه، منها إنهم يستخفون بالدين، ويستهزئون بالشّرع المبين، ومنها إنهم يهينون العلم والعلماء، مع أن العلماء ورثة الانبياء..

ومنها إنهم يستحلّون المحرمات، ويهتكون الحُرُمات، ومنها إنهم ينكرون خلافة الشيخين..

ومنها إنهم يطوّلون ألسنتهم على عائشة الصدِّيقة..

ومنها إنهم يسبون الشيخين، سوّد الله وجوههم بالدّارين..

وقال السيوطي من أئمة الشافعية من كفّر الصحابة كفر.. وثبت بالتواتر قطعاً عند الخواص والعوام من المسلمين أن هذه القبائح مجتمعة في هؤلاء الضالين المُضلين، فمن اتصف بواحد من هذه الأمور؛ فهو كافر يجب قتله باتفاق الأمَّة، ولا تقبل توبته وإسلامه في إسقاط القتل، سواء أتاب بعد القدرة عليه، أو جاء تائباً من قِبَلِ

نفسه.. فمن سبّ الشيخين أو لعنهما يكفر، ويجب قتله، ولا تقبل توبته وإسلامه..

فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار، تابوا أو لم يتوبوا... ولا يجوز تركهم بإعطاء الجزية، ولا بأمان موقّت، ولا بأمان مؤبّد، نصّ عليه قاضي خان في فتاويه، ويجوز استرقاق نسائهم وذراريهم.

وقد أكثر مشايخ الإسلام من علماء الدولة العثمانيّة، لا زالت مؤيدة بالنَّصرة العلية في الافتاء في شأن الشيعة المذكورين. وقد أشبع الكلام في ذلك كثير منهم، وألَّفوا فيه الرسائل وممن أفتى بذلك المحقق المفسِّر أبو السعود أفندي العمادي... فلذا أجمع علماء الأمصار على إباحة قتلهم، وأن من شكَّ في كفرهم كان كافراً..

فعند الإمام الأعظم (أبي حنيفة) وسفيان الثوري، والأوزاعي أنهم إذا تابوا ورجعوا عن كفرهم إلى الإسلام نجوا من القتل ويرجى لهم العفو كسائر الكفار إذا تابوا...

أما عند مالك والشافعي وأحمد بن حنبل والليث بن سعد.. وسائر العلماء العظام، فلا تُقبل توبتهم، ولا يُعتبر إسلامهم ويقتلون حدّاً...».

إتهامات ملفَّقة، لا تستند إلى دلائل، لأن الشيعة لا يدينون بهذه العقائد الفاسدة، هم مسلمون على خط أهل البيت، الخط المشرق، المعصوم، الذي لا يعرف الغلط.. هل قرأت في التاريخ عن مذهب

جمع كل هذه المفاسد؟ إن جماعة تتصف بهذه الآفات لا تترك مجتمعاً عامراً، بل تحوله إلى دمار. وما رُوي عن الشيعة أنهم أخربوا المدن أو قتلوا النساء والأطفال، لأن هذا محرَّم في الإسلام، إن الشيعة على امتداد التاريخ الإسلامي ظلوا مستضعفين. . مقهورين، يرمون بأسوأ النعوت زوراً. . وما اتهموا بسفك دماء المسلمين، بل بسب الشيخين والخروج عن طاعة الإمام، أي السلطان التركي، مع أنهم ما ثاروا ضدّه ولا قتلوا جندياً من جنوده. .

أما قال الإمام الحسين عليه السلام لقاتليه يوم عاشوراء: هل تطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ قالوا: لا. . . لكنهم قتلوه. . عشرات الكتب الفقهية للمذاهب السنيّة التي رسَّخت في أذهان أهل السُنّة الفرقة بين المسلمين، وأحلَّت لهم قتل الشيعة في حال السلم قبل الحرب، ووعدت القتلة بالجنَّة ثواباً لهم. .

أذكر منها: التنوير، الكنز، البزازيّة، جامع الفتاوى، العماديّة، الخانيّة، السِّراجيَّة، الدر المختار، اللباب للمحاملي، الفتاوى الحامديّة. .

ملاحظات: شحن النص بأحكام تخرج عن تعاليم الإسلام، وتناقض الروح الإسلاميَّة التسامحيَّة العافية. .

١ - رمي بالكفر جماعات الاعتدال من السُنَّة الذين (يتوقفون في كفر الشيعة) أي لا يقولون بكفر الشيعة وأمر بقتلهم. .

٢ - أجاز النص مقاتلة الشيعة وقتلهم لأسباب: البغي والكفر.

أ - البغي وأشكاله:

١ - الخروج عن طاعة الإمام أي السلطان التركي، وهذا الشرط يلغي المعارضة والديموقراطية وحريّة الرأي والكلمة.. والشيعة ما قاتلوا السلطان التركي، ولا تنطبق عليهم الآية التي أقحمها في الاستشهاد: «قاتلوا الفئة التي تبغي» البغي يكون بممارسة الظلم والقهر والقتل، وما كان الشيعة يمتلكون، قوّة ولا سيفاً في عهد الاتراك، بل كانوا ضعفاء يُقتلون بالشبهات.

٢ - وصمهم بالملعونين على لسان الرسول.

لقد نسب إلى الرسول ﷺ زوراً حكماً لم يفعله، متى لعن الشيعة، ولماذا؟ لأنهم حفظوا آل الرسول، وعملوا بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]. هم من قام بمودّة القربى للرسول ﷺ، أمِنَ العدل أن يلعن من ناصرَ آله؟.

ب - الكفر:

حدَّده بعناوين: وهي غير واردة في القرآن الكريم على أنها من أسباب الكفر.

١ - الاستخفاف بالدين: كيف استخفوا بالدين وهم يرددون في خطبة الجمعة: اللهم انصر الإسلام وأهله، وأذلّ النفاق وأهله.

٢ - الاستهزاء بالشّرع: كيف استخفوا بالشرع وهم يصلون

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

خمس مرات في اليوم، ويصومون شهر رمضان، ويحجون إلى الكعبة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. . .

٣ - إهانة العلم والعلماء: هم ينطلقون.

ومن أحاديث النبي ﷺ: أطلب العلم من المهد إلى اللحد، وهم يغرفون من علم إمامهم علي عليه السلام الذي قال فيه رسول الله «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

لذلك نفر الشيعة إلى النجف عاصمة العلم حيث الاجتهاد، ولهم كتب في الفقه يعتمدونها: الكافي في الاصول لمحمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٨هـ)، من لا يحضره الفقيه، للصدوق (م ٣٨١هـ) والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي (م ٤٠٦هـ). ولهم في التفسير مجمع البيان للطبرسي (م ٥٥٢هـ).

هذه نماذج من آلاف المجلدات في الفقه والتفسير والأدب والتاريخ والفلسفة واللغة والشعر. .

وهم فتحوا باب الاجتهاد لمتابعة تطور الحياة والمستجدات والمكتشفات الحديثة وما تتطلبه من أحكام. .

٤ - استحلال المحرمات: الشيعة أحرص على تطبيق الشرع من سائر المذاهب الإسلامية. محاربة شرب الخمر، والزنا، والامتناع عن أكل المحرمات والممنوعات.

٥ - هتك الحرمات: هم ضعفاء ومقهورون في الدولة الإسلامية، لا يقدرون على هتك حرمات أحد. . بل كانوا يستعملون التقيّة نجاة

من القتل، وكل ذنبهم أنهم يحبون أهل البيت. لقد قطع الحاكم السني في المدن الإسلامية المختلفة رؤوس آلاف الشيعة لأنهم كانوا يقولون عند ذكر النبي: «اللهم صل على محمد وآل محمد» والسنة يقولون عند ذكره، «صلى الله عليه وسلم» ويهملون آله.

٦ - إنكار خلافة الشيخين:

يقول الشيعة: إن الخلافة بعد الرسول ﷺ لعلي، ببيعة الغدير، بعد حجة الوداع، عندما قال للحجيج: «من كنت مولاه فعلي مولاه..» في رواية المسلمين.

٧ - الموقف من عائشة «حديث الافك».

السنة هم من تناول عائشة في حديث الإفك، لقد رووه في كتبهم، لأن فقه الشيعة وأدبياتهم «إن الخيانة الزوجيَّة، أي الزنا، محرَّمة على نساء الانبياء، والله يعصمهم من ذلك.. فإذا زنت امرأة النبي سقطت نبوته، ولذلك يبرّئون عائشة من حديث الافك..

٨ - سُباب الشيخين:

هل قرأت آية تدعو إلى التعبُّد بشتم الآخرين؟

أنا قرأت آية تنهى عن الشتائم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] إن السُّباب يأتي بالسُّباب، ولكل كلام جواب.. ويؤدي إلى المخاصمات والفتن وإراقة الدماء.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

نهى أهل البيت عن اعتماد السُّباب منهجيَّة في التعامل مع الناس، بل دعوا إلى الكلمة الطيبة، والغفران، لمّا سمع الإمام علي عليه السلام قوماً من أصحابه، يُسبُّون أهل الشام في حرب صفيِّن قال: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنَّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهمّ أحقُن دماءنا ودماءهم، وأصلِحْ ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرفَ الحقَّ من جهله، ويرعوي عن الغِيّ، والعدوان مَنْ لهجَ به»[1].

هذا علي، إمام الشيعة، يشفقُ على أتباعه، وعلى أخصامه، نهى أتباعه (الشيعة) عن السُّباب، ودعاهم إلى الدعاء بالخير للجميع. . . وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد سبقه إلى هذه الخلَّة: قيل للنبي: ادْعُ الله على المشركين. فأجاب: «إنما بُعثتُ مَهداةً، ولم أُبعث لعّانا»[2].

لقد نهى أهل البيت عن السُّباب، لأنه لا يُنتج إلا الاحقاد، والمخاصمات وسفك الدماء. .

إقرأ هذه الكلمات للإمام الباقر عليه السلام: «قولوا للناس: أحسن ما تحبُّون أن يُقال لكم، فإن الله يبغض اللعّان، السبّاب، الطعّان على المؤمن، الفاحش، المتفحّش».

هذا خطّ أهل البيت وشيعتهم، وقد قابلوا الشتائم بالتحيات

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٦.

(٢) الطبرسي، إعلام الورى ٢٠٦.

والعفو. . أما إشكاليَّة (سب الشيخين) التي تسلّح بها السُنّة ضد الشيعة، فهي ليست من أخلاق أهل البيت وتعاليمهم المغرقة بإنسانيتها. . لقد أصدر السنَّة فتاوى التكفير ضد الشيعة، وقاموا بعمليات إبادة جماعيَّة للأقليات الشيعيّة في مناطقهم، وردَّ الشيعة بمثلها في مناطق نفوذهم، مما جعل أنهار الدم تجري ونبعها: (نُعْرَةُ السُّباب).

تعود جذور إشكالية السباب إلى معاوية بن أبي سفيان الذي رفع راية الجاهلية في الإسلام، وقد أحيى العادات السيئة في المجتمع الإسلامي. . قال الحسن البصري: «أربع خصال كُنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: إنتزاؤه على هذه الأمة بالسيف، حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده، ابنه سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش، وللعاهرِ الحجر، وقتله حُجْراً، وأصحابَ حُجْر، فيا ويلاً له من حُجر: ويا ويلا له من حُجر، وأصحاب حجر»[١].

ونسي الحسن البصري الموبقة الخامسة، وهي سب الإمام علي عليه السلام على منابر المسلمين.

طرقت مسامع معاوية عبارات المديح للامام علي عليه السلام الذي جاهد منذ صباه، وحقّق النصر في بدر، والخندق، وخيبر، وحنين،

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٨٧.

وقتل أشياخ معاوية في هذه المعارك.. بينما كان يومها معاوية، وأبوه، يقودان المشركين ضد الإسلام، ويرفعون شعارات، هبل واللات، ويصرخون: محمد، ساحر، شاعر، كاهن، كذّاب..

أراد معاوية أن ينتقم من علي ومعه أبو بكر وعمر، وهما آمنا بمحمد ورسالته، وحاربا معه ضد المشركين، يقودهم الأمويون فاخترع بدعة السب لعلي على منابر المسلمين، منابر رسول الله الذي قال: «عليّ مني، وأنا من علي» وأمر فقهاء السلاطين ووعّاظهم أن يلعنوا عليا على المنابر، بعد كل صلاة، وأقام المراقبين على الفقهاء، والخطباء، فإن تناسوا اللعن، قالوا لهم: اذكروا سنة معاوية، وكان في منهجيّة معاوية أن يوقع الفتن بين السنة والشيعة، وجاء في صيغة السباب: اللعن لعلي والترحُّم على أبي بكر وعمر، مما يثير حفيظة الشيعة، فيردون التحدِّي، انفعالياً، بسباب مثله، يترحمون عليا، ويسبون أبا بكر وعمر.. مما يؤدي إلى مخاصمات ومنازعات بين الطَّرفين..

إنها فتنة معاوية الذي أسَّس لدى السُنّة سُباب علي، ولدى الشيعة سبّ الشيخين.. وظلّ التعصُّب الجاهل ينقلها بين الطرفين مما سبّب سفك الدماء والتهجير والتخريب في بلاد المسلمين. مأساة علي مع السُنّة أنهم ما استنكروا فعلة معاوية في سبِّ علي على سبعين ألف منبر، في المساجد بعد كل صلاة.. بل ترحَّموا على معاوية، وبعضهم امتدحه، مثلما امتدحت عائشة ابن ملجم عندما قتل الإمام

علي، وقالت: لا شُلّت يد هذا الفتى. . ولما الغى عمر بن عبد العزيز سبّ الإمام بعد ستين سنة اعترض أهل فلسطين والبقاع الغربي، وتابعوا السبّ لمدّة ستة أشهر، ودفعوا جزية السبّ، ليسجّلوا في رأيهم مفخرة لهم ولأحفادهم. . [١].

إن إشكاليّة السباب التي نفذها عامّة السنُّة علنا، وعلى منابر رسول الله، ثم نفَّذها بعض الشيعة، ردَّة فعل، وسِرّاً قد تلاشت مع الزمن، وتناساها الناس، إذ ليس في تشريع الإسلام سُباب، بل أمر القرآن ناهياً عنه: «ولا تسبوا» لكن فقهاء بعض المذاهب ومعهم التكفيريون افترضوا ويفترضون أن الشيعة يسبون الشيخين ويفتون بقتلهم، بأحكام مبنيّة على الظنّ. . . وجزاء المفتي والقاتل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢].

٩ - ضالّون مضلّون: عبارة عامَّة ألقيت على عواهنها، لقد ضلَّ من رمى الناس بالضلال. تخالف قول الرسول ﷺ «كفّوا عن أهل لا إله إلا الله، ولا تكفّروهم بذنب» فالشيعة يلتزمون الايمان المبني على المعرفة والتّقى. . . أصول العقيدة عندهم: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد. . . يتفقون مع سائر المسلمين بالتوحيد والنبوّة والمعاد. ويقولون بالعدل الإلهي، وما ربُّك بظلاّم للعبيد. .

---

(١) سيرة أهل البيت: ٧٤/ ٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.

أما العدل الاجتماعي فهو فرح العالم، وقال الإمام علي عليه السلام: «العدل ربيع الدُّنيا»، إن فكرة العدل لا تؤذي المجتمعات، إنما تؤذي الحكّام، وأعوانهم الذين يبنون سلطتهم على حذف العدل من المجتمع، ويتسلّطون بالظلم والقهر، فالغلبة لا تقوم إلا بالقوَّة الظّالمة، مما أسهم في تخلف المجتمعات العربية، وغياب الحريَّة والديموقراطيَّة.. في حين يضيء عنصر الإمامة طريق الإنسان؛ فالعصمة تعني ترك الذنب، مع القدرة عليه، وهذه خاصة إنسانيّة متفوِّقة، لأن ترك الذنب سواء أكان صغيراً أم كبيراً يعني إشاعة الرَّخاء، وسيادة الحق، والامان والمحبة انطلاقاً إلى الكمال.

إن ترك الشرك، أو القتل، أو السرقة، أو الظلم... وانتزاع هذه الذنوب مع المجتمع، أو تغييبها، يرتفع به إلى الحضارة.

لماذا يخاف الناس من الحاكم المعصوم، ويرفضو ن الإمام المعصوم؟ مع أن وجوده في السلطة يلغي انتشار الغلط، والمنكر، والقهر.. إن اللص، والمجرم، والطاغية.. نماذج ترفض المعصوم؛ لأنها تخشى العدل والقانون... إن القاتل يخاف الشّرع الذي يحكم عليه بقانون «النفس بالنفس» إن من يلتزم التوحيد والعدل، والنبوة والإمامة والمعاد في العقيدة، ويؤدي الصلاة والزكاة والصوم والحج.. ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر... لا يمكن أن يكون ضالاً ومضلاً، إنما هادياً مهدياً، لامتلاء عقيدته بفيوضات الخير..



الفصل الثامن

الحداثة التكفيريَّة

التكفيريون لهم صفات اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

التكفيريون:

١ - نقضوا ميثاق الإسلام كاليهود.

٢ - فنالوا لعنة الله.

٣ - قلوبهم قاسية.

٤ - حرَّفوا كلام الله، وأحكامه، وأحلّوا ما حرَّم، وفعلوا الافاعيل باسم الإسلام.

من هم التكفيريون؟

التكفيريون هم الإنسان - الشرّ، هم جماعات يكفّرون المؤمنين، والمسالمين في المجتمعات، فغضب الله عليهم لتصرفاتهم الانتقامية ضدّ الآخر.. ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

قلوبهم غُلف، صدورهم ضيّقة حرجاً، تتصعد حقداً وخُواء، أو فراغاً؛ فتصير جوفاء، لا تقبل الموعظة والنصيحة، والكلمة السواء.. ويريدون الإسلام على مقاس عقولهم المغلقة على تعاليم مضطربة، ملونة بالشبهات.. هم الرِّجس ويدَّعون الطُّهر.. قالوا: كاليهود «قلوبنا غلق» أي أغلقناها مغلّفة بالشر، وأسقطنا العقل والحوار.. لقد اعتمدوا الغريزة في التصرف، اعتمدوا غريزة الحيوان المفترس، باتوا كالذئاب يقتلون، يسفكون الدماء، وشهدت عليهم الملائكة: «أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء» على مرِّ التاريخ سفك الإنسان - الشرّ دماء الإنسان - الخير..

(١) سورة الانعام، الآية: ١٢٥.

قلوبهم قاسية كالحجارة:

لا تلين، لا تلبي النداء، أرأيت جداراً أو حجراً يلبي النداء؟ إن أمرته فهو لا يُقبِل ولا يُدْبر، هذه حال الإنسان (الجلف) الهمج الرُّعاع.. لا يلبي نداء، ولا يرتدع عن خطأ.. قال تعالى لهؤلاء: «قل: كونوا حجارةً أو حديداً» أي بلا أرواح تفهم، تلين، تعطف تحب..

التكفيريون: أصحاب العقول الغُرْز، أي المسمَّرة، المتحجِّرة، الجامدة التي لا تترك باتجاه الحوار..

التكفيريون ولدوا في الإسلام، ونشأوا فيه، ونالوا ثقافة غير ثقافته.. خضعوا لعمليات (تحويل) من بشر إلى ساديين متشدّدين، إلى ذئاب بشرية..

هم جماعات من السلفيَّة، ارتبطوا بأخبار السَّلف دينياً، وبأطماع أنفسهم سياسياً، واعتمدوا بعض فقه المذاهب الإسلاميَّة.. ومنذ القرن التاسع عشر، عوّلوا على فتاوى المذهب الوهابي، المدعوم من آل سعود، الذين تفرّدوا بأموال بلاد الحجاز ونجد، وعدّوها مالهم الخاصّ، مليارات الدولارات تضخّها حقول النفط النابعة في مهد الإسلام، تسرق سنوياً، وتغْتَصب الولايات المتحدة الاميركية قسما منها لتوفّرَ الحماية لنظام أسرة حاكمة بالقهر والظلم..

وهي خاوية لا تستطيع الدفاع عن وجودها لولا الجيش الاميركي، المتمركز في قواعد عسكرية تدنس أرض الجزيرة العربية،

فالتسمية هي اغتصاب لتاريخ الشعب الحجازي. هي بلاد الحجاز ونجد وليست مملكة سعودية، هم تسلطوا بالسيف على شعبها بدعم من بريطانيا صاحبة المشروع الوهابي، وقد أوكلت إلى هامفر البريطاني أن يصنع فقيهاً لقبيلة آل سعود، فكان محمد بن عبد الوهاب (م ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢م). وقد عُرِف أتباعه «بإخوان من أطاع الله». دعا «إلى نبذ البدع، وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام» «وكشف الشبهات» وتحت هذه العناوين تمَّ تكفير المسلمين الذين يخالفون تعاليم الوهابيّة... ولا سيما الذين يزورون أضرحة الانبياء والأولياء... عام ١٩٧٤ حججتُ، ولما اقتربت من ضريح الرسول ﷺ كي ألمسه تبرُّكاً وهو محاط بسور حديدي. صرخ «المطوّع» الموكل بحراسة الضريح «لا تعبد حديداً». إنَّ لمس قفص الضريح هو عبادة في نظرهم و عندما يتجمهر الحجاج حول الحجر الأسود لِلَمْسِه. يقولون: هؤلاء يعبدون الحجارة..

لقد أقام التكفيريون الجُدد الحدود على الناس لكلمات تخرج منهم عفوياً، مع أن الله عفا عن اللغو ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[1].

وقتلوا صبياناً ونساءً لكلمات قالوها، لا من أجل أفعال فعلوها.. خرَّجت الحركة الوهابيَّة آلاف الدُّعاة وأرسلتهم مزوّدين بالمال، والفكر الوهابي إلى لبنان، وباكستان، وأفغانستان،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥، سورة المائدة، الآية: ٨٩.

والشيشان، والهند. . . بشكل مكثف، وإلى سائر الدول العربية بإقبال أقلّ. . . من الوهابيَّة نشأت الفرق التكفيريَّة التي تبيح القتل لكل من يخالف تعاليمها، أو لا يبايعها. .

التطرُّف: في تصرفات هذه الجماعات، تتم المحاكمات ميدانياً، لا تحتاج إلى قضاة، وتبيح للأفراد إقامة الحدود والاقتصاص، جاء في الفتاوى الحامديّة، دستور الدولة العثمانية، «إذا سب أحد الأشخاص، النبي ﷺ أو الشيخين، وسمعه المسلم، يجب أن يقتله دون الرجوع إلى الحاكم أو القاضي، وأجره الجنة».

هذه الفتوى أهدرت الدماء، وأجرتها أنهاراً. . كثيرون قتلوا لأسباب ذاتيّة، أشخاصاً أبرياء، لا سبّوا ولا شتموا إنما قُتلوا افتراء بتهمة السب. . .

هذه الخاصة مارستها الأنظمة الديكتاتورية، دينياً أو سياسياً لقد أجهز التطرف على عشرات الآلاف من الابرياء بتهم الزندقة والتكفير، وشتم الرئيس أو الزعيم أو الدين. . . مع أن الإسلام أقر الحريّات الشخصية، وفرض المحاكمات العادلة والشهود، لاقامة الحدود.

لكن التنظيمات التكفيريَّة تقيم الحدود، وتقتل الابرياء وترجم النساء، وتقطع الرؤوس بطرق بشعة، وتذبح بلا حاجة إلى شهود أو مبررات. . . . فالتُّهم جاهزة للانتقام من الإنسان المسالم أو الفقير أو الضعيف، أو المخالف لتعاليمهم وبذلك تسيء إلى الإسلام الحنيف الذي يحفظ الإنسان وأشياءه. . .

ابتداء من عام ١٧٩٨ بدأت الوهابية تشن غارات سنوية على مراقد الأئمة في العراق في النجف وكربلاء، والكاظميين ببغداد في عام ١٨٠٢ دخلوا كربلاء وهدموا ضريح الإمام الحسين عليه السلام سبط الرسول، وسيد شباب أهل الجنة.. وقتلوا حوالي عشرة آلاف زائر.. حتى جرت الدماء أنهاراً، وقطعوا الرؤوس وصنعوا منها جبلاً.. تم ذلك برضى الدولة العثمانية التي كانت تستعمر العراق، وكانت فتاوى شيوخ الإسلام فيها، يبيحون قتل الشيعة بلا محاكمات.. واستمرت الغارات السنوية حتى تدخل عام ١٨٠٤ شاه إيران وطلب من السلطان التركي حماية العتبات المقدسة، والا سيأتي الجيش الايراني لحمايتها..

التكفيريون في الأديان خرجوا من صلبها، وتسلحوا بشعار إقامة الشريعة، لكنهم سلكوا منهجاً مخالفاً، فسّروا علّلوا على هواهم، وأخضعوا التعاليم لمفاهيمهم وعقولهم.

الحروب الدينية عرفتها الأديان السماويّة، حروب اليهود بين أسباط الشمال وأسباط الجنوب ما بين (٩٣٥ - ٧٢٥ ق.م).

الحروب الدينية المسيحية بين: الكاثوليك والبروتستانت والارثوذوكس... أشهرها الحرب الدينية الفرنسية (١٥٦٢ - ١٥٩٨م). سلسلة حروب أهليَّة بين البروتستانت والكاثوليك.. وكانت لها أسباب سياسية، وصراع على السلطة بين الملك وكبار الاشراف. وتميَّزت هذه الحروب بالفظائع التي اقترفها كلا الطرفين،

وخاصَّة مذبحة عيد سان بارثلميو في **٢٤** آب **١٥٧٢** ضد البروتستانت، وما انتهت حروبهم إلا عندما عقدت معاهدة منحت حريّة العبادة في فرنسا عام **١٥٩٨**م.

حروب المسلمين: هي حروب افتتحت بمعركة بدر عام ٢هـ / **٦٢٤**م واستمرت بلا انقطاع، عاماً فعاماً، وتظل إلى يوم القيامة، لا يخلو منها عام، وهي بين فتوحات، وثورات، وجهاد، وتكفير وفتن. . وقامت بين المسلمين وسائر الاديان، بين الشيعة والسنة، بين مذاهب السنة. .



حروب التكفير المعاصرة

أطل الربيع العربي عام ٢٠١١ م لكنه أطلّ ربيعاً مجنوناً، وكاذباً، أطل زمهريراً في صقيع الشتاء، فما أزهر ولا أثمر في المثل «اللوز المجنون بيفتّح بكانون» في شهر كانون تأتي أيام مشمسة يدفأ اللوز فيظن أن الربيع قد أقبل، فيزهر، ثم يتساقط الثلج والصقيع فيحترق الزهر... ظنوه ربيعاً عربياً، فكان زمهريراً مميتاً للعالم العربي.. هبت الجماعات السلفيَّة، بتوجيهات من أميركا، تطالب بالحريَّة، من تونس إلى ليبيا، فمصر ثم إلى اليمن، والعراق وسورية احترقت هذه الدول أصابها الدمار الشامل، طال القتل الرجال والنساء والاطفال.. مذابح جرت فيها الدماء أنهاراً.. إرتكبوا أبشع أنواع الارهاب باسم الخالق والإسلام.. لقد خطّط لهم الغرب ورباهم تربية دينية هدّامة، هم خلقوا الدعاة، ومدوهم بالمال والدعم المعنوي، وأرسلوهم إلى البلاد العربية، لتخريب الإسلام، معلنين عن شرق أوسط جديد، لقد اخترعوا لهم: الفكر السلفي الجهادي، الذي يكفّر المسلمين، ويجيز قتلهم ذبحاً.. ما كلّف اللهه التكفيريين أو غيرهم بقتل عباده الكافرين بل احتمل تصرفاتهم، لأنه خلقهم، وأمهلهم إلى يوم الحساب وما أمر أحداً بقتالهم ما داموا مسالمين في مجتمعاتهم.

لقد قتل التكفيريون الصبيان، مع أن القرآن الكريم، ما أشار مرّة واحدة إلى قتل الصبيان، مهما كانت أعمالهم.. وما أجاز إصدار الاحكام، إلا بعد المحاكمات، حتى أن النبي داود عليه السلام لمّا تسرَّع في حكمه (بالنعجة) خاف وأتاه العتاب.

بعد دروس التضليل تزوّد أتباع التنظيمات السلفية بتعاليم وفتاوى تجيز القتل لمن يخالفهم الرأي، ولو كان من مذهبهم، وإنزال العقوبات لمجرد الشبهات، بلا رجوع إلى القاضي أو الأمير.. لقد قتلوا بأبشع الصور، وشوّهوا أحكام الله، وهو عندهم إله جبار، إرهابي، لا يعرف إلا القتل، والقهر، والذبح، والتدمير.. وكأنه ما كتب على نفسه الرحمة وما وصف نفسه بالغفور الرحيم والغفّار.. «وغلبت رحمتي غضبي».

أين الآيات التي يأمر الله فيها بقتل الابرياء، لمخالفة الرأي؟ ومتى كان قتل الابرياء من العباد يأخذ إلى الجنّة؟ التكفيريون ألبسوا باطلهم بأنه الجهاد وما هو إلا الاجرام.



العوامل الذاتيّة للتكفيري

صفات تكمن في الإنسان التكفيري، ناتجة عن التكوين الجيني (الوراثة) والتربية الغلط، وفساد البيئة المجتمعيّة، والشعور بالدونيَّة.. عوامل تنزعه من مجتمع الإنسان، وتأخذه إلى حقول الارهاب المزروعة بالقتل والتخريب والحقد ضد الآخر بلا سبب، وبلا معرفة، هو لا يعرف فلاناً ولم يَرَه، لكنه يودُّ قتله لأنه ينتمي إلى دين أو مذهب أو عرق مخالف لانتمائه..

هو مجرم وراثة، شاذّ عقلياً وتصرُّفاً، هو إنسان وحش، يأكل لحم أخيه الإنسان.. كيف يجرؤ المسلم على قتل المسلم بلا ذنب؟

١ - **التكوين الفيزيولوجي (الخَلْقي)**: جبهة ضيّقة، رأس صغير مفلطح، عيونٌ خُزر، قلوب غلف، أقسى من الحجارة، عقول غُرْزة، آذان فيها وقر، التكوين الخَلْقي يحدّد مسار الإنسان في المجتمع. لقد درس علم النَّفس هذه العوامل الوراثيَّة، وحدَّد أدوارها في تصرُّفات الفرد، بين هادىء، عطوف، محبّ، أو مشاغب يميل إلى العدوانيّة، واقتراف الجريمة.. العوامل الوراثيَّة تصنع الإنسان وتقدِّمه إلى المجتمع ميالاً إلى الخير، أو إلى الشرّ.. هناك أطفال في سن مبكرة يميلون إلى الأذى، يحملون طبائع عدوانيّة، غير متأتية من

البيئة، يضربون أطفالاً مسالمين، أو يعضّونهم، أو يسلبونهم ألعابهم. . هناك أشخاص مهما حاولت أن تأخذهم إلى الاجرام لا يذهبون، طبائعهم تدعوهم إلى حب الإنسان الآخر ومساعدته. . وهناك جماعات وسطيون تقودهم التربية إلى الخير أو إلى الشر. . ويضم المجتمع قسماً ثالثاً جبلوا على الشر، وتعجز التربية، والمواعظ، والنصائح أن تأخذهم إلى الخير، إنما قد تخفّف من اندفاعهم الاجرامي. . . على هذه الفئة تعتمد الثورات التكفيريّة لتكوين جيوش مهمتها تنفيذ أوامر القادة بالقتل والذّبح والتدمير. .

٢ - **إخفاق المجتمعات الإسلامية**: إن فساد البيئة المجتمعيّة يضخ شباباً فاسدين، كانت شمس العرب تسطع على الغرب، فسرق الغرب شمسنا، وصدّر إلينا ظلاماً دامساً، نعيش فيه، بحيث لا يرى واحدنا أخاه. . إنه مجتمع العتمة، بل المجتمع العربي. . خرجنا من النور إلى الظلمات، وفي عتم المجتمع أباح المسلم المحرمات، وتخلّى عن الإسلام الصافي، وعمَّ مجتمعاتنا: الكذب، النفاق، المراوغة، الاحتيال، البطالة، اللصوصيّة، الخنوع، الفقر. . . وعلى رأس هذه الصفات يأتي الجهل والشرّ، وبات الإسلام رديفاً للجهل والتخلف والارهاب والاجرام، مع أن الإسلام هو تشريع إلهي، والمسلمون بشر يصيبون ويخطئون، إن نسبة القراء في العالم العربي هي خمسة بالألف.

٣ - **القهر وقمع الحريات**: إن المجتمعات العربيّة باتت ضائعة

تسودها فوضى تخريبية، هي مجتمعات فرديَّة أنانيّة لا تعرف المصلحة العامَّة، مخالفة بذلك تعاليم الإسلام والقرآن الكريم في التآخي والتعاون على البر والتقوى..

هذه المجتمعات يحكمها سلاطين، استخدموا القمع، والقهر، والمخابرات.. لترويض شعوبهم، والتخفيف من عمليات الاحتجاج والشغب.. فقامت ثورات على مرّ التاريخ معلنة رفض الظلم والتجويع انحرفت عندما استغل قادتها الشباب الضال وعلموه على القتل ثأراً لما لحقه من الأذى من السلطان وأعوانه، فاندفع ينتقم من الأبرياء قبل المذنبين.

لذلك أخفقت تلك الثورات، لأن قادتها ممن يستغلون الجماهير لمصالحهم الشخصيَّة ويعملون على تبديل الحكم من سلطان جائر شبعان إلى سلطان جديد جائر وجوعان.. في هذه الثورات يعمل النشء على تخريب مجتمعه.

٤ - محنة الاخلاق، استيراد الفساد:

شعار النبي ﷺ الأخلاق الكريمة، هو الصادق الأمين وقد خاطبه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(١)].

دعا إلى العلم مقابل الجهل

إلى الخير مقابل الشر

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

إلى الايمان مقابل الكفر

إلى الصدق مقابل الكذب

إلى العدل يقابله الظلم والجور

إلى الحب يقابله البغض

إلى الكرم يقابله البخل

إلى الأمانة يقابله الخيانة

إلى العفّة يقابله التهتُّك

إلى الصفح يقابله الانتقام

إلى المودّة يقابله العداوة

إلى العفو يقابله الانتقام

إلى سبعين صفة حسنة هي من خصائص الخير، مقابل سبعين صفة سيئة هي من خصائص الشرّ والجهل.. ما عاد الشّرف يتمتّع بقدسيَّة، لأن شرف الدول الاستعماريَّة القائم على حريَّة المرأة، والتمادي في إهانة الأخلاق الإسلاميَّة، هو الذي يسيطر على مجتمعاتنا، وباتت المحرمات إسلامياً مباحات باسم الحريَّة.

إن المكتشفات الحديثة: التلفزيون، الانترنت، الخلوي، الكمبيوتر. راحت تنقل لنا المشاهد الفاسقة، والمسيئة للأخلاق، الداعية إلى الخيانة والغدر والانغماس في المحرمات وسقوط القيم..

لذلك ضاعت الاجيال فهي تحرِّم، وتحلّل، كما تشاء وتهوى هناك عودة حادَّة إلى الاحكام الإسلاميَّة ظاهرياً، فشارب خمرٍ سِرّاً قد يقيم حد الخمر جلداً على شارب خمرٍ جهراً، وصاحبُ إمارةٍ إسلاميّة زان بمجاهدات النكاح، يقيم حدّ الرَّجم على أبرياء وشريفات. .

أو يقيم حدّ السرقة قطعاً (لدجاجة)، وهو قد نهب متاجر المجوهرات. . أسوأ ما فيها عندما يتسلَّط الجهّال على إرادة العلماء والصالحين. .



عمليات الشحن والتضليل

يعسر أن نقول عمليات تثقيف؛ لأن الثقافة تقويم للاعوجاج، وتهذيب للنفوس اندفاعاً نحو الحضارة. .

بينما العمليات التكفيريَّة هي شحن للأفراد والجماعات بالعدوانيَّة ضد الآخر، وضد الحضارة باسم الدين «كل من ليس منا أو معنا، هو ضدنا، أو عدونا».

جاء في خطابات حمدان قرمط منشيء الثورة القرمطيّة: «اقتلوا كل من ليس معنا» «وهكذا اعملوا السَّيفَ في أمَّة محمد إلاّ من بايعهم» وأوصى معاوية قائده سفيان الغامدي عندما أرسله في غارة إلى العراق: «أقتل كلَّ من لقيته، ممَّن ليس هو على مثل رأيك، وأخرِبْ كلّ ما مررت به من قرى»[١].

وقود التكفير: يختار فقهاء التكفير وأمراؤهم وصولاً إلى خليفتهم، يختارون أتباعهم من فئة مجتمعية تحمل مواصفات قابلة للانحراف، ويقومون بتكثيف اللقاءات والمعلومات لشحن الضحايا، بالأوهام، ويُلبسون باطلهم حقاً. . . يأخذون عادة أولاد الفقر والجوع.

---

(١) شرح نهج البلاغة: خطبة ٨٦.

أ - الشباب أصحاب المعرفة السطحيّة للاسلام، علموهم بعض الآيات القرآنية مقتطعة، ومجرّدة من أسباب النزول، أو مجتزأة عن سياق الآيات المرتبطة بها.

ب - الشباب العاطل عن العمل (البطالة) أو مجموعات غير راضية عن أعمالها التي لا تدر لها ما يقيم أودها... هؤلاء الشباب هم وقود للثورات الإسلامية، لأنهم لا يذهبون إلى الجامعات، بل يتسكعون في الطرقات، والبطالة تدفعهم للانتماء إلى مجموعات اسلاميّة تعدهم بإقامة الخلافة، وتوفير المال والقصور والغنى.

ج - الشباب المقهور من السلطات، أو الحزب الحاكم، أو القبيلة النافذة في منطقته... يودّ الانتقام، ينتسب إلى تنظيم إرهابي، يقتل الناس بلا تردد، ويحتمي وراء التنظيم - الارهابي، أو الميليشيا الحزبيّة التي انتمى إليها أو لاذ بها إحتماءً...

د - الشباب الطامح إلى السلطة، ولا يملك الوسيلة العاديّة للوصول (الحوافز).

إن حب الظهور يدفع بعض الطامحين لتشكيل تنظيمات حزبية، مسالمة حيناً، أو إرهابية أحياناً.. فيقومون بأعمال تجذب الانظار وخصوصاً أعمال العنف والقتل.. ويؤدي الإعلام دوراً في ارتكاب البشاعات.. لقد نفَّذ كثيرون أبشع الاعمال حبّاً بالظهور، فالوصول إلى الاعلام العالمي لا يتم إلا بأعمال خارقة إنسانية أو إجراميّة.. لقد وصل أبو بكر البغدادي، رئيس تنظيم داعش، الذي نصّب نفسه

خليفة للمسلمين إلى الشهرة العالمية عندما صُنّف، من قبل إحصاء شركة عالمية، مع الشخصيات المئة الأقوى في العالم للعام ٢٠١٤م مع بوتين رئيس روسيا (الأول) ثم أوباما رئيس أميركا (الثاني) رئيس الصين الثالث، وكان مركز البغدادي (٥٤) في مجموعة المئة. .

هـ - عالم الأطفال.

عمليات تبني الأطفال الفقراء، أو الاسرى، مشروع ناجح على المدى البعيد، يخلق أجيالاً مخلصة للتنظيم، يفصلونهم عن المجتمع، ويؤمنون لهم مدارس، شحن أذهانهم بالحقد ضد الاعراق وسائر الاديان والمذاهب، مع تزوير فتاوى تحلّل قتل الآخرين بلا رحمة، وصولاً إلى الابادة. . ويكون الجزاء السفر السَّريع إلى الجنّة، بعمليات جهادية أو استشهاديَّة «هي انتحاريّة» لأنها تقتل الأبرياء، يتم تدريب الأطفال في غرف المدارس، وباحاتها، أما الكبار فيتم تدريبهم على الأسلحة في المساجد، أو حقول الرماية إن توافرت، أو البساتين والكهوف والصحارى، تبعاً للظروف المتوافرة لكوادر التنظيمات. .

أما مناهج التعليم فتقتصر على الكتاتيب التي تعلّم القرآن الكريم والحديث النبوي، وتلغي المواد العلمية والرياضية والفنون. .

مأساة هؤلاء الأطفال عندما يشجعونهم على تنفيذ الاعدام بصبيان مثلهم، ويهزجون لأعمالهم البطوليَّة. . . فينشأ الطفل على حب الاجرام والارهاب. . .

الزمهرير العربي

اسمَوه ربيعاً عربياً، وهو في واقعه أشدّ وَطئاً من الزمهرير، على الأوطان العربيَّة وشعوبها..

الزمهرير: شدّة البرد، وهو العذاب الذي أعدّه الله للكافرين في الدار الآخرة: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾(١) الشمس الشديدة تحرق أوراق الأشجار وأزهارها، والزمهرير (الصقيع) أيضاً يحرق أوراق الاشجار وأزهارها.

الزمهرير العربي دمَّر الأوطان العربيَّة، أحرق ما تبقى من نسيج وحدوي. إذ لم تبادر دولة عربيَّة لنُصرة أختها ضد الاعتداءات الاميركية - الاوروبيَّة. لقد قصفوا العراق وليبيا... وأسقطوا الأنظمة. لكن لم يزهر الربيع فيها، بل أكلها الزمهرير، سقط الحكام في العراق وليبيا وتونس واليمن ومصر... ولم تأت الحرية والديمقراطية والعدالة.. إن الثورات الزمهريرية، أحرقتها صقيعاً، ولم تزهر ربيعاً، وباتت البلاد العربية على وشك تقسيمات: العراق إلى ثلاث دول، وسورية إلى أربع، واليمن إلى ثلاث، ولبنان إلى عشر... عدد الميليشيات النافذة.. ومستقبل مصر لا يزال مجهولاً،

(١) سورة الإنسان، الآية: ١٣.

وتعود ليبيا إلى عهد المدن والقبائل. . الزمهرير العربي أحرق بصقيعه مقومات الأمّة العربيَّة، وجاوز الأنظمة إلى الشعوب التي اكتوت بنيران التكفيريين وصارت شعوباً وقبائل، تتناحر ولا تتعارف؛ همُّها القتل والتّدمير. .

لماذا الربيع العربي؟

هل أطلقوه في فصل الزمهرير لقتل الشعوب العربية؟ هل أرادوه طريقاً للحرية؟. . هو كذبة استعماريّة، لأن الدول التي زارها الربيع فيها مساحات واضحة ومقبولة من الحريات: مصر، تونس، سورية. . . بينما تنعدم هذه المساحة من الحريّة في دول الخليج: السعودية، البحرين، قطر. . مع ذلك لم يزرها الربيع. . بحماية من أميركا.

منذ مطلع القرن العشرين، ولدت مأساة العرب من اشكاليتين:

الأولى: ينابيع النفط: هي غزيرة في البلاد العربية من الشرق إلى الغرب (ليبيا)، حُلَّت قضيّة النفط. بتلزيم استخراجه إلى شركات غربيَّة، وإقامة قواعد عسكرية في دول الخليج لحماية مصالح الشعوب الاميركيَّة - الأوروبية.

الثانية: القضية الفلسطينية.

عام ١٩٤٨ احتل اليهود معظم الأراضي الفلسطينية وأسّسوا دولة اسرائيل التي استكملت ضم الضفَّة الغربيةة عام ١٩٦٧.

ظن الصهاينة وحلفاؤهم: أميركا، بريطانيا، فرنسا، أن القضيّة

الفلسطينية سوف تنتهي مع الزمن، وتتحوّل إسرائيل إلى دولة تقود جيرانها في الشرق الأوسط.. متناسين أن العنصر العربي متجذّر في التاريخ، وصاحب حضارة لأكثر من ألف سنة.. ومن أمثالهم «لا يموت حق وراءه مطالب» و «للعرب ردّات» أي إذا تراجعوا وانهزموا، فلهم ارتداد يعودون معه لمصارعة عدوّهم وغلبته..

عملت أميركا بشكل خاص على فرض حكّام على البلاد العربية هم من صنعها وصنيعتها.. وبواسطتهم تمكّنت من فرض صلح (كمب ديفيد)، لكن الشعوب العربية القوميَّة، رفضت التطبيع، ونشأت مقاومات جديَّة، هزَّت الأمن الاسرائيلي، وظل الصراع قائماً.. لجأت الدولة العبريَّة إلى بناء جدار أمني، لكن الرعب صعد الجدار ودخل شوارع الأرض المحتلة.. ثم أتتها صواريخ المقاومة الإسلامية، فبثت الذعر في النفوس.. كان لا بد من إنهاء قوَّة الدول العربيَّة بزرع الفتن الطائفية والمذهبية والعرقية والاثنية.. مما يؤدّي إلى إضعاف الجيوش وتقسيم البلاد..

زينت أميركا للشعوب العربيَّة الحريّات العامَّة والديموقراطية، درّبَتْ مجموعات، وحرَّضتها على التظاهر والتخريب، أمرتهم بالانطلاق، روَّجت للحريات المزعومة.. رشّت الأموال، والعرب كما قال النبي ﷺ: «إن لكلّ أمَّةٍ فتنة، وفتنةُ أُمَّتي المال».

خرج المخدوعون يطالبون بالحريات، وتغيير الأنظمة، وتبدَّلت مسارات المظاهرات إلى صراعات دمويَّة بين الجيوش، وبين

المتظاهرين، وامتد الشغب إلى تخريب المؤسسات العامّة، وانتهت بحروب داخليّة بين الانظمة وعشرات الميليشيات الإسلاميّة الارهابيّة التي أكلت بعضها. . وارتاحت اسرائيل من مواجهات مع الجيوش العربية، هي تريدهم أن يتصارعوا من مدينة إلى مدينة من شارع إلى شارع من بيت إلى بيت من أخ إلى أخ حتى الفناء. هذا ما فعلوه بشفاعة الفتاوى التكفيريّة التي أطقها رجال دين جاهلون، أو متعصِّبون.

إنه الزمهرير العربي الذي أحرق الحياة العربيّة، ولن تعود إلى ما كانت عليه إلا بعد عشرات السنين، إذا توقفت الحروب الهوجاء، وبدأ عصر الاعمار. . يرتاح العرب إذا توحدوا، وشكلوا دولة قويّة تحسم إشكاليتي: النفط وفلسطين. تضاف إليهما إشكالية الحداثة التبشيريَّة أي أسلمة الغرب.

أسلمة الغرب: في تسارع الحداثة، تسارعت روحانيات الشرق لغزو ماديات الغرب، فالإنسان الغربي يعيش ضياعاً في التأملات الروحانيَّة، فهو لا يمتلك علاقة تربطه بالغيبيات والآخِرة.

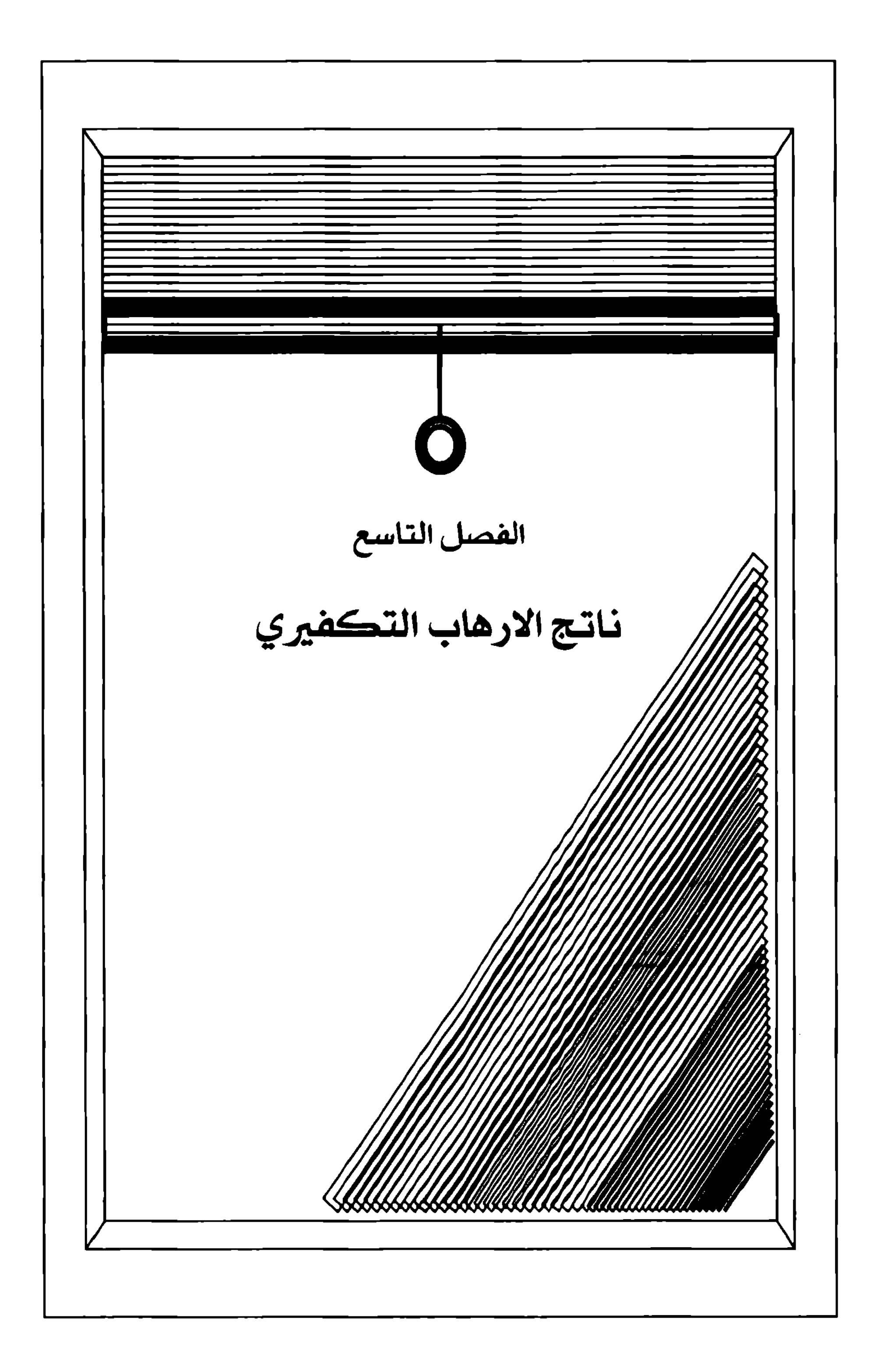
أسئلة كثيرة كثيرة لا تجيب عليها ماديّات الحياة الغربيَّة التي تنتهي مع الموت، ولا تعرف شيئاً عمَّ بعده.

استغلّ الدعاة المسلمون هذا الضياع الروحي، والقلق النَّفسي. . . فراحوا ينشرون تعاليم الإسلام الروحانيَّة التي تجيب على أسئلة ما بعد الموت بتفصيلات واقعيَّة ومرضية. .

انتجت حركة رجال الدين المسلمين إقبالاً ملحوظاً على الإسلام، في المجتمعات الملحدة. خاف حكام الغرب أن تتحول شعوبهم إلى الإسلام، وتتبدَّل هويَّة حضاراتهم... بل عدّوا هذا التبشير من صدام الحضارات؛ فبادروا إلى خلق مجموعات إسلاميَّة مشوّهة فكرياً، وعقائدياً، وأخلاقياً.. تدَّعي الإسلام، وبعثتهم في المجتمعات العربية يمارسون وحشية لا متناهية، يقتلون الإنسان، ويدمّرون الحضارات، والتراث... وزوَّدتهم بالمال والسلاح والتدريب، وأخضعتهم عملاء لها ينفّذون تعليمات الاستعمار الجديد الهدّامة... الممنهجة لتشويه صفاء الإسلام، الرسالة السماوية.. راسمين بتصرفاتهم الممسوخة، أبشع الصور.. بأبشع تصرفات مارسوها على أنها من تعاليم الدين.

هذا الارهاب التدميري والهمجي أخاف الشعوب الغربيَّة وأعلن حكامهم. هذا هو الإسلام الذي ترغبون في اعتناقه، فقالوا: وداعاً يا إسلام. بل أخذ بعضهم منحى عدائياً منه... وتصرُّ الدول الغربية على انتهاز الفرصة لتدمير الحضارة الإسلاميّة، وتدمير الجيوش العربية، وتمزيق الأمّة.. وانتعشت آمال إسرائيل بتحقيق الحلم الصهيوني، السيطرة على البلاد العربية من النيل إلى الفرات... بعد تدمير العالم العربي..





الفصل التاسع

ناتج الارهاب التكفيري

المظاهر الارهابية للتكفيريين
أو ناتج الارهاب التكفيري

أطلق الناس عليه الارهاب التكفيري، لأنه ينتهك حقوق الله والإسلام، والإنسان والاوطان، بتصرفات إجراميَّة.

التكفير يقتل الابرياء قبل المذنبين بلا محاكمات، وبلا رحمة.. يقتل الناس انتقاماً لأوهام حشيت في مخيلته، يقتلهم على الانتماء العرقي أو الديني.. هادفاً إلى إشعال الفتن الطائفية باسم الشرع، مخالفاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].. التكفيريون الحديثون في العالم العربي ابتداء من العام ٢٠١١ وإلى العام ٢٠١٥، ابتدعوا وسائل تعذيب وانتقام ما عرفها الإسلام ولا أقرّتها أعراف الجاهليَّة.. بقصد إدخال الرعب إلى قلوب الآمنين، وترويع الناس، ثم استسلامهم. تصرّفوا بجاهلية تقول: وداعاً يا إسلام.

إن الافرازات لثورات الزمهرير العربي أتت مؤذية ومدمّرة للحضارة الإسلامية..

١ - **الذبح**: الذبح هو للحيوانات التي يأكلها الإنسان، وإذا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

تجاوزها إلى حيوانات لا تؤكل، ولا يفيد منها، تحاسبه يوم القيامة، في الحديث: تحشر يوم الحساب وتقول: «يا رب سل هذا فيم قتلني»؟

هذا رأي الإسلام في قتل الطائر عبثاً، فما هو شأن من يقتل الاطفال عبثاً؟

ما سمح الإسلام ولا الشرائع السماوية السابقة بذبح الإنسان، سؤال إلى الجماعات الإسلامية التي تذبح وتفجّر.. هل قرؤوا رواية واحدة تقول: إن النبي ﷺ أمر بذبح أحد المشركين، أو الكافرين. هل علموا أن النبي ﷺ ما قتل بيده إنساناً واحداً في مسيرة حياته كلها؟.. فالذبح جريمة بشعة رفضها الإسلام ولم يقرِّها مطلقاً.. السؤال يوجّه أيضاً إلى المنتقدين للإسلام بتصرفات التكفيريين، هل قرؤوا آية، أو سمعوا حديثاً نبوياً يأمران بالذبح البشري، أو يرضيان به؟

إن من يذبح اليوم باسم الإسلام، هم تكفيريون كفرة وفجرة.. صنعهم الاستعمار، وأغراهم بالهمجيَّة، وبأفعالهم المقيتة إساءة للإسلام، الدين الحنيف المتسامح، الذي راح يغزو الغرب بتعاليمه الواقعيَّة والمشرقة إنسانياً..

٢ - **قتل الأطفال:** قتلوا مئات الاطفال ندِّيَّة للاسلام الذي أوصى خيراً بالنساء والاطفال، وخاصة في الحروب.. قتلوا صبية بتهم ساخرة، هذا صبي هجر بكلامه، أو ارتدى زياً يعدّونه غير شرعي.. مع أن القاصر لا يقتل بارتكاب الذنب بل يسجن ويستتاب..

٣ - **الرَّجم**: الرّجم أكبر من الجلد. لم ترد آية للرجم في القرآن. بل قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[١].

إثبات جرم الزنى يتطلب اربعة شهود، ويؤدّيه الحاكم العادل، ولا ينفّذ الرّجم بمظاهرة دعائيَّة فيها وحشيّة التصرف..

٤ - **قتل الأسرى ذبحاً**، مع قطع الرؤوس بمشاهد وحشيّة، يندى لها الجبين، ويتردد صداها عالمياً، وتتردد أصوات الآخرين، متهمةً الإسلام بالفعل البشع.

٥ - **القتل ركلاً**: ابتدع التكفيريون طرقاً للقتل، بدل أن يخترعوا الوسائل التي تفيد المجتمعات، وتساعد في العمران والحضارة. اخترعوا وسائل لقتل الأسرى، مع أن الإسلام أوصى بهم خيراً، القتل ركلا بالاقدام حتى الموت.. مشاهد رفضها العربي في الجاهليّة.. دأب البدوي على اكتشاف عقاقير تبعد شبح الموت عن الإنسان، وهم يقتلونه.

٦ - **نبش القبور**: هي عادة وهابيَّة أورثوها للتكفيريين، أين هي قبور عشرة آلاف صحابي في البقيع، المدينة المنورة؟ لقد درسوها، وحرثوها وعفت معالمها، لأنها تراث المدينة المنورة وفيها أضرحة الأوائل من المسلمين..

لقد نبش التكفيريون قبور الانبياء في الموصل «النبي دانيال،

(١) سورة النور، الآية: ٢.

والنبي يونس. . . ونبشوا قبور الصالحين والمتصوّفة والشعراء. . ضريح أبي العلاء المعري. في معرة النّعمان. .

٧ - **هدم الكنائس**: وبعض دور العبادة، مخالفين القرآن الذي يدعو إلى إعمارها. .

٨ - **هدم الحسينيات**: حيث تقام شعائر عاشوراء، وتتلى سيرة الإمام الحسين عليه السلام، وهو حفيد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقال فيه: «حسين مني وأنا من حسين».

٩ - **هدم القرى والمدن**: هدموا المدن والقرى والمزارع في بلاد سورية والعراق. . وأحرقوا ما فيها من دور وحدائق، ومدارس ومستشفيات. .

١٠ - **تدمير اقتصاد البلدان الإسلامية**: لقد ضربوا المصانع، ومعامل الانتاج للطاقة والنفط، والغاز، والسدود. . ونهبوا المؤسسات الحرفية، والانتاجية والزراعية. . لقد أخربوا البلاد بدل إعمارها.

١١ - **خطف الابرياء**: قام التكفيريون في سوريا والعراق بخطف جماعات آمنة: خطفوا الزوار العائدين من مشهد - إيران، وعذّبوهم، وأفرجوا عنهم بعد فدية ماليّة. . خطفوا راهبات معلولا من الدير، وروعوهنّ، وهددوا بقتلهن، وما نالوا حريتهن إلا بعد فدية مالية. . وأسروا قوى أمنية، وبعض عناصر الجيش اللبناني، وذبحوا بعضهم. . .

لقد قاموا بالخطف والاعتداء على المخطوفين، وحجزوا حرياتهم أسأل عن آية قرآنية تبيح خطف الأبرياء، وحجز حرياتهم، وتعذيبهم، وتهديدهم بالقتل ذبحاً، ثم أخذ الفدية الماليَّة. . إن عصابات التتار والمغول الملحدة، لم ترتكب هذه الاعمال الارهابية التي تمَّت باسم الإسلام، وإيهاماً بإقامة أحكام الدين والشريعة.

١٢ - **الاعدام سحلاً**: عصابات التنظيمات الإسلامية، تأتي بالبدع التي تنم عن روح إجراميَّة، هم يربطون الضحايا إلى مؤخرة السيارات والآليات ويجرونهم على الطرقات، حتى تتلاشى معالم الجسد، وتتناثر قطعاً صغيرة في الطرقات. .

مع أن الحديث النبوي: «إكرام الميت دفنه» لا فرق بين مؤمن أو كافر. . لقد تفننوا في اختراع اساليب القتل. .

١٣ - **العمليات الانتحارية**: أضاع الناس معنى الشهادة ومضامينها، هي جهاد في سبيل الله، والعقيدة الحق، والدفاع عن الوطن، والنفس والعائلة. . أرخصوها فجعلوها دفاعاً عن الباطل، والزعيم، والأمير، والحزب والاهواء الفرديَّة. .

الشهداء لهم أجرهم: الأجر هو الجنّة والغفران؛ لأن الشهادة تُجِبُّ ما قبلها من الذنوب، ويغدوا الإنسان كيوم ولدته أمه، أي طاهراً بلا ذنوب، والفوز بالجنّة يمنحه ما في الجنة من: القصور، والحور العين، وأنهار من عسل وخمر ولبن وفاكهة لا يقطعها صيف

ولا شتاء. . هذه المغريات هي للشهيد في سبيل الله والوطن (مع الايمان بالله). .

إغراءات الآية، مع شروح من الفقهاء تدغدغ عقول الشباب وغرائزهم وإيمانهم بالقضية فتأخذهم إلى الموت مسرورين بشغف وشوق إلى لقاء المحبوب، أما إذا كان الهدف خدمة الزعيم، والحزب، وقتل الآخرين لمخالفتهم الرأي والمذهب. . فهذا العمل انتحار يأخذ صاحبه إلى جهنم. وأجره على زعيمه أو حزبه أو شيخه. .

انتقلت الشهادة من الحرب في ساحات الوغى إلى عمليات التفجير، وهذه العمليات توزّعت بين مظهرين:

الأول: عمليات استشهادية تتناول العدو المستعمر والغاصب الذي يحتل بلاد المسلمين. هذه الأعمال الاستشهادية نفذتها المقاومة الإسلاميّة في لبنان ضد الاحتلال الاسرائيلي، وقوات التحالف الدولي التي غزت لبنان، لتقتل مقاومته، وشعبه، وتوجّهت العمليات ضد الجنود المحتلين، ولم تستهدف الابرياء. هذا الشهيد الاستشهادي له نوره وأجره، وتنتظره الجنّة بحور عينها وقصورها وأنبيائها. .

المظهر الثاني: عمليات انتحارية، نفذ الإرهابيون المسلمون في بلاد المسلمين: العراق، سوريا، لبنان، مصر، ليبيا، اليمن. . نفذوها ضد تجمعات الافراح والأعراس. والندوات الثقافية،

والمجالس الحسينية، وكان الضحايا من الاطفال والنساء والرجال وقد حولوهم إلى أشلاء.

هؤلاء الانتحاريون موعودون بالجنّة والحور العين، ومصافحة النبي ﷺ.. أما علم هؤلاء أن النبي لا يصافح مجرمين قتلوا الابرياء من أمّته، هم انتحاريون تنتظرهم جهنم وقد أحرقوا أنفسهم بنار الدنيا قبل نار الآخرة أقنعوهم بفقه ملفَّق أن طريق الجنّة والحور العين تمر بعمليات استشهادية ضد الكافرين من شيعة ومسيحيين وسنة لا يشاطرونهم الرأي..

١٤ - **تحريف التفسير**: كثيرون حرَّفوا كتبهم السماوية وخاصة التوراة.. حاول ملايين المسلمين الضّالين، على مرّ القرون، أن يحرِّفوا القرآن، لأهداف مشبوهة، وتلبية لاستخبارات عدوانيَّة، لكنهم أخفقوا، لأن تحريف القرآن غير مسموح، من صاحب القرآن.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1] لمّا حاولت مجموعات جادَّة لتحريف القرآن الكريم، كان العقاب ينزّل عليهم سريعاً..

قرأنا وسمعنا عن طغاة حاولوا التلاعب في نص القرآن، فأتاهم الموت قبل أن يبدّلوا كلمة أو آية..

إن التكفيريين ما استطاعوا أن يحرّفوا الآيات لكنهم حرَّفوا التفسير، هم ينتزعون كلمات من الآية، يستدلون بها على شرعيّة

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

تصرفاتهم، الغلط، على غرار قولهم: «لا إله» كفْرٌ، «إلا الله» إيمان.

المتسامح يأخذ آيات الغفران والعفو، والمتشدّد يأخذ آيات العقاب:

الأول يقول: «غافرِ الذّنبِ، وقابلِ التَّوب».

فيكمل المتشدِّد الآية: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾[1].

١٥ - **جهاد النكاح**: اخترعوا جهاد المناكحة، وكثّفوا الدروس في النكاح الجهادي للفتيات.. إن الزواج بتعاليمه الإسلاميّة مشروع لكن إذا تحوّل إلى زنا فهو محرَّم، لأن المرأة كان يتبادلها العديد من المجاهدين في يوم واحد، وهذا محرّم، لان الطلاق يحتاج إلى عدّة..

١٦ - **تجهيل النَّشء**: ألغت (داعش) المدارس الرسمية والمناهج التعليميّة وأعادوا نظام الكتاتيب التي تلاشت منذ قرن، ومنعوا تدريس الفلسفة والعلوم، واللغات..

هذه الابداعات البِدَع، أضرّت بالدين الحنيف، خاتم الرسالات، لكنها لن تنجح في الهناء بدولة أو حكم، لأنها لا تتبنى شعاراً إنسانياً واحداً، بل تنفّذ شعارات ضد الحياة، معتمدة نزوات عابرة لجماعات، تمارس لعبة الموت، وتكون نهايتها على يد لعبتها..

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣.

١٧ - القتل إحراقاً بالنار: حرَّم الإسلام قتل الإنسان إحراقاً بالنار، وهو انتقام اخترعه الكافرون ضد الانبياء والمؤمنين، لقد ألقى المشركون النبي إبراهيم عليه السلام بالنار، فكانت برداً وسلاماً..

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[1] لقد حفر التكفيريون القدماء، بقيادة ملكهم، أخاديد أي خنادق، وأشعلوا فيها النيران، وأحرقوا المؤمنين «بالله العزيز الحميد» انتقاماً لايمانهم..

١٨ - الموت إغراقاً بالانهار: سبقهم إلى ذلك عبد الحميد العثماني، كان يلقي ضحاياه بالدردنيل مربوطين بالحديد.



(١) سورة البروج، الآيات: ٤ - ٨.

الخلاص

العودة إلى الإسلام الصافي

إن الممالك والدول والمجتمعات والاحزاب.. لا تتبنّى مبادىء الشر، ولا تقوم على أعمال الارهاب والظلم، ولن تنجح تحت هذه الشعارات في إقامة حكم دائم ومستمر.. بل ترفع شعارات إنسانيَّة ليرضى بها الشعب: العدل، الحرية، المساواة، الازدهار... هذه العناوين غدت الزاميَّة في القرن العشرين، حيث التواصل بين الافراد والجماعات، والدول لا ينقطع لحظة واحدة.. هذا التواصل الذي ينقل مشاهد الخير وفاعليها، ومشاهد الشر ومرتكبيها ويكشف جرائم الارهابيين للعالم.. يلغي قبول الطغاة والمجرمين.. فالشعارات اللاإنسانية تسقط وينهزم من يرفعها، وإن استطاع أن ينجح بواسطة القوّة لحين، لكن الاستمراريّة غير ممكنة..

إن الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) لا يمكن أن تنجح في إقامة دولة، ولو وفّرت لها أميركا وأوروبا الدعم السياسي والتسليحي والتدريبي.. لأنها قائمة على شعارات ضد الوجود الإنساني.. هي القتل والذبح والتدمير بهمجية ووحشيّة، وتصرفات

لا تمت إلى تعاليم الإسلام الحنيف المتسامح البنّاء. . هم جماعات أساؤوا إلى الإسلام، لما رفعوا رايته، هم منحرفون صنع أميركا البستهم عمامة وجبَّة، وزرعت لهم لحىً، وهم في واقعهم من أتباع الشيطان، وأعداء الإسلام، وأطلقت لهم العنان في الدول العربية، لإنهاء العروبة والإسلام، فتأمن اسرائيل وترتاح. لكن أميركا عادت لتحاربهم بعدما خرجوا عن سيطرتها، ربتَّهم فأرادوا أن يأكلوها. . قالت (هيلري كلنتون وزارة الخارجية الاميركية) صنعنا دولة الإسلام، لنعلنها في سورية وأمنّا لها ١١٣ دولة لتعترف بها، بعد اعترافنا، لكنها شذّت عن الطريق، وذهبت للإرهاب؛ فبتنا ملزمين بمحاربتها. . لكن المحاربة أتت شكليَّة وساخرة.

إن ثورة القرامطة الجدد تتطلب تضافر الجهود الإنسانية لهزيمتها،

١ - إيقاف شحن الاسلحة لداعش:

إذا تحقق هذا العامل خلال شهر واحد تنتهي ثورة داعش، فيستسلم مقاتلوها أو يفرّون؛ لأن المقاتل إذا حفر في رمال الصحراء وتراب الحقول لا يعثر على القذائف والذخيرة والأسلحة، لمتابعة القتال، إنما يجد الخضار والنبات، مما يعطي الحياة، لا الموت. . وهم لا يمتلكون مصانع للأسلحة. .

إن القذائف والأسلحة المدمرة يصنعها الأوروبي والاميركي ويلقيها بواسطة الطائرات، إذا لم يجد ممرّاً آمناً بحرياً أو برياً،

وتلقيها الطائرات الاميركية موزَّعة بين الاخصام، مثلما تلقي طائراتها مع التحالف الصواريخ على جنود الطرفين المتنازعين في عين العرب، وأرض العراق...

٢ - عدم ضخ المقاتلين من الدول المجاورة:

إن جماعات المرتزقة من التكفيريين ما زالوا يسعون لاقامة دولة لهم، لقد سيطروا على بعض القرى والبلدات والصحارى وعلى الرقة والموصل، لكن هذه الأرض لا تسمح لهم بإقامة دولة لها مقومات الدولة... للاتصال بالعالم الخارجي... لذلك يعتمدون على تركية لتمرير الاسلحة والمقاتلين من جهة الشمال، وعلى الاردن واسرائيل لتدريب المقاتلين وتسليحهم من جهة الجنوب.

٣ - تجفيف منابع المرتزقة:

إذا استمرت الدول المجاورة بتدريب المقاتلين المرتزقة وتصديرهم يجب على الدولتين: العراق وسورية أن ترسلا مئات أو آلاف الجنود الفدائيين، لتنفيذ عمليات انتقاميَّة على أرض الدول المتآمرة، وخلال أشهر يتوقف المتآمرون، من دعم التكفيريين، بعد أن ينصرفوا إلى الاهتمام بشؤون الأمن المهتز في بلادهم.

٤ - الحوار:

هو أفضل الحلول «تعالوا إلى كلمة سواء» إذ لو عمل به الناس، لجنَّبوا الإنسان في العالم شرور الاشرار وأطماع الطامعين..

هل ينجح الحوار؟ الحوار مع الجماعات التكفيرية أمر صعب إذ يصعب تبديل المبادىء التي تلقاها الافراد، «إنا وجدنا آباءنا على أمّة، وإنا على آثارهم مهتدون».

إن الدراسات التي أجريت على بعض التكفيريين، من خلال الحوار والمجادلة والنقاش لم تثمر، وأكدت أن الفرد التكفيري لا يستطيع التخلي عن الافكار المشحونة في رأسه.. وإن إمكانية تحويله إلى إنسان معتدل ومتسامح قد لا تبلغ ١٠٪، لذلك يصعب إعادة التكفيريين إلى إنسانيتهم الإسلامية بالحوار. كلمة قالها النبي شيث بن آدم عليه السلام منذ بدء الخليقة: «الصمت، ولا محاورة الجُهال».

٥ - العمل التثقيفي:

دور الأهل ثم المدرسة، ثم المجتمع.. هذه العناصر إذا نسَّقت فيم بينها لتربية النشء لخرَّجت أجيالاً صالحة لا تنجذب إلى الارهاب والقتل والعدوانية... تحتاج إلى تربية إسلاميّة صحيحة، فالإسلام الصافي هو فرح العالم، لأنه يحمل في تعاليمه العدالة والمساواة والرحمة والاخاء..

٦ - الحسم العسكري:

تتعرض جيوش الدول العربية في العراق وسورية ومصر وليبيا.. إلى مؤاتمرات حاكتها أميركا وأوروبا وإسرائيل.. لضرب هذه الجيوش وتفتيتها وإنهاء حال التهديد لإسرائيل..

إذا تعاونت هذه الجيوش يمكن أن تحسم الأمر ضد الارهاب التكفيري، الذي يستهدف جيوش الدول العربية، ووحدة البلدان، وصفاء الإسلام، وعزّة العروبة، إذ كلها باتت مهدّدة في وجودها ومنعتها.

مليار ونصف مسلم موزّعين في بلاد العالم، هذا الكمُّ الهائل توزّع بين آلاف المذاهب، والاحزاب، والتيارات الفكريّة، والاعراق، مما شكّل فوضى أدَّت إلى صراعات تبادلها المسلمون بين المخالفين، وحيناً بين الموالين، وتفجّرت ثورات وفتناً بعضها محقّة وعادلة وفي معظمها إرهابية ومخرِّبة، وتصدرت الارهاب التيارات السلفيّة والإسلاميون السياسيون الذين لا يقاتلون المسلمين ليصلّوا، وهم يُصلُّون، إنما يقاتلونهم ليتأمرّوا عليهم..

٧ - قبول الآخر في الإسلام:

رفعت الحضارات الحديثة، بدولها الغربيَّة، شعارات إنسانيَّة، وتحاول أن تصدِّرها إلى الدول العربيّة والإسلاميَّة، وتتباهى بتحقيق الحريَّات في المعتقد، والرأي والكلمة، وقبول الآخر.. في المجتمع الواحد.

هذه العناوين شرّعها القرآن الكريم، باشارات متعدِّدة، منذ ألف وأربعماية سنة ونيِّف، لكن المسلمين أضاعوها.. وعملوا ضدّها، وانغمسوا في التعصُّب الطائفي، والمذهبي، والعرقي، ورفض

الآخر. . ومارسوا إرهاباً، ضد الإسلام، لما مارسوه ضد المشتركات الإنسانية، فإتَّهم الغربُ الإسلام بالارهاب، والتخلُّف و[الديكتاتورية] مما دفع الغرب أن يجتهد في تصدير الحريات إلى العالم الإسلامي، مع أنها من أساسيات تعاليمنا وثقافتنا. . فالإسلام تشريع إلهي، لكن المسلمين بشر يصيبون ويخطئون، ولا يُضيره ما يقترف جزء من أتباعه من أخطاء مؤذية، وغير إنسانية. .

إن الدفاع عن الإسلام ينطلق من التذكير بالنصوص، وليس باختراع الأعذار، أو إخضاع النصوص، لمضامين لا تكمن فيها، أو تفسيرات بعيدة عن أسباب النزول. .

الآيات مشرقة، أذكر منها:

١ - الحريّة في الدين والعبادة:

تمثل الصراعات الدينيّة أقسى الصراعات، التي عرفها الإنسان على مرَّ التاريخ، وأسموها. . صدام الحضارات» بين المؤمنين والكافرين، بين الطوائف والمذاهب، وجرت الدماء أنهاراً. . وكأن الاديان تنزّلت على الانبياء ليسفك أتباعها دماء الآخرين، الذين يتّبعون معتقدات مخالفة. . هذه الصراعات: عدم قبول الآخر، والتكفير، والقهر والقتل. . شهدها المسلمون بعد وفاة النبي، وضرب المسلمون رقاب بعضهم بعضاً، وأراقوا دماءهم فيم بينهم. . . مخالفين الآيات القرآنية، إن سورة الكافرين تحسم

الصراع، وتمنح حريَّة العبادة في مدينة واحدة هي مكّة. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾[1].

المستويان التركيبي والمعجمي يرسمان منهج قبول الآخر، ويتركانه يعبد ما يشاء في الحال والمستقبل.. أكّد ذلك التكرار، وتبادل الجذر «عَبَدَ» بين الفعل الماضي والمضارع وإسم الفاعل. لقد تكرّرت المفردة «عبد» بمشتقاتها ثمان مرات، في سورة مفرداتها ثلاث عشرة كلمة هي من أسرة العبادة، الدين، الكافرون.. ويمنح حرف النفي (لا) المكرر أربع مرات، حرية العبادة للفريقين «أنا وأنتم» ويرفده دعماً في التنوع تكرار حرف لام الملكية (الاختصاص) مضافاً لضمير المخاطب، ولضمير المتكلم، «لكم دينكم، ولي دين».

بناء لتقريرات الآية لماذا لا تترك المذاهب الإسلاميّة أتباعها يتعبّدون تبعاً لقناعاتهم الفقهيّة في الفروع.. لماذا الصراعات والمذابح، والآية تسمح للكافرين أن يستقلّوا بأديانهم..

٢ - قبول الآخر في الانتماء العرقي:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ

(١) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] التعارف بين الشعوب يؤدي إلى الاندماج والوئام والمحبَّة والتعاون.. وهذه العناوين هي ضد الاقتتال، مما يخلق مجتمعات مزدهرة يعمُّها المشترك الإنساني في الثقافة، والعلوم، وتبادل المعلومات: الطب والمعرفة والحكمة وأنماط المأكل والملبس والآلة.. والتعاون لاعمار الأرض. إن إجتماع الشعوب وتعاونها، يثمر الابداعات في تطوير العلوم، «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

٣ - حريّة الكلمة:

الحوار هو طريق قبول الآخر.. فرضه القرآن دستوراً بين البشر، وعنونت له آية منزلة شرّعته بالكلمة الطيّبة، واللقاء والمناظرة طلباً للحق، ومعرفته، وإثباته.. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[2].

النداء فيه إعلان و «تعالوا» أمر فيه إصرار على الحضور واللقاء.. وموضوع المناظرة «كلمة سواء» أي الحق اليقين الواضح والبيِّن.. دعت الآية إلى الحوار بين الأديان «أهل الكتاب»، وأطياف أبناء البلد الواحد.. وكانت الكلمة السواء هديّة لأبناء الإسلام المتشعِّبين مذاهب فقهيّة، تدعوهم للحوار والتوافق، كلما أخذهم

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

التعصب إلى الفرقة والاقتتال... لذلك قامت جماعات التقريب بين المذاهب الإسلاميّة لارساء الالفة بينها... وخاضت تجارب تنجح حينا، وتخفق أحياناً؛ لأن السياسيين والسلاطين لا يريدون لها النجاح..

الاحتكام إلى الكلمة يعني صراعاً حضارياً، مقارعة بالكلمات، أي بالحجج والبراهين، لا صراع السلاح والدماء، ما قال: «تعالوا»، نحتكم إلى السيف والدماء والمدفع...

في آية ثانية وجَه المرسلُ رسوله إلى الحوار راسماً منهجه وأدواته: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] شرّعت الآية اسلوب الدعوة الإسلامية وصولاً إلى «سبيل ربّك» بالحكمة، وتعتمد العقل، المشترك الإنساني إلى طريق الحق والخير. ثم الكلمة الطيبة التي تدغدغ ضمير الإنسان ووجدانه، وتأسر منه الغرائز، ثم الموعظة الحسنة الموقرة بالنصائح. هذه العناوين يؤطرها الحوار جدلاً بالتي هي أحسن..

أين التحريض الارهابي في هذه الآية الداعية إلى الحوار بأرقى مناهجه وطرقه، لفض الخصومات بين البشر المتنازعين على حطام الدنيا، هذه نصوص القرآن صادقة صدق مُرسِلها والمُرسَل إليه، لا تواري وراء صياغاتها التباسات النصوص الأمميَّة، المُتجرة بحقوق

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الإنسان، تنتهكها ضد الضُّعفاء، وتنتهكها دفاعاً عن الأقوياء.

أما ما ينفذه بعض المسلمين من تصرفات خاطئة ضد المسلم الآخر، وضد أتباع الأديان والطوائف والاثنيات.. فتصرفات لا يتحمل الإسلام إصرها.. بل هي افتراءات ضد الإسلام وكتابه ونبيه وتعاليمه.. أعمال تنفّذها جماعات ملعونة، انتمت خطأ إلى الإسلام، وزوّرت تعاليمه، وانتسبت إلى بؤر المسخيَّة.

الفهرس

الموضوع | الصفحة